الرحلات الهندية

# في شرق الهند

## رحلة وحديث في أحوال المسلمين

*فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر*

العبودي ، محمد بن ناصر

في شرق الهند._ الرياض .

٠٠٠ص ؛ ٠٠سم

ردمك ١-١٢١-٣٥-٩٩٦٠

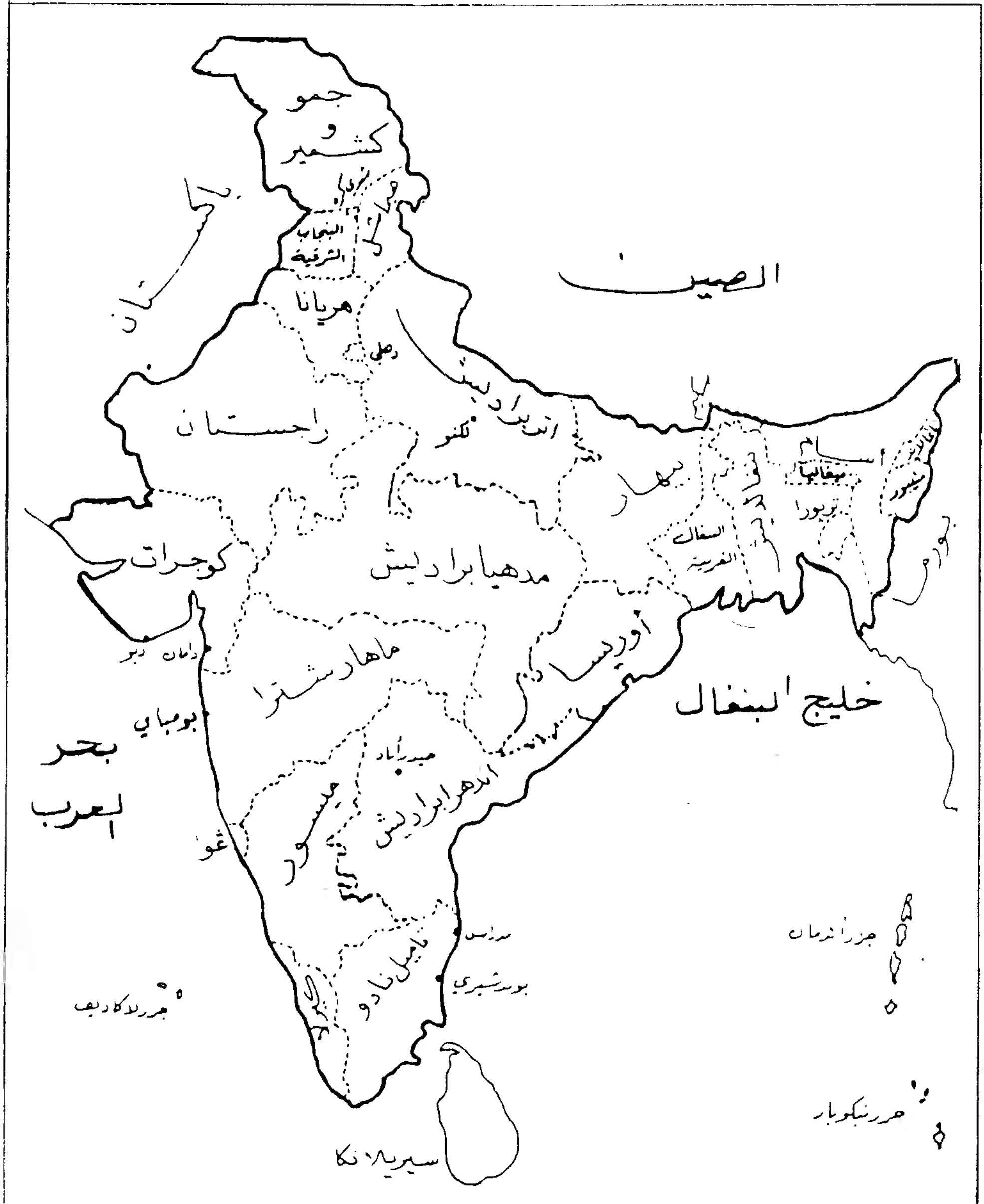
١-الهند ـ وصف ورحلات أ- العنوان

ديوي ٩١٥،٤٠٤ ١٩/١٩٠٢

**رقم الإيداع : ١٩/١٩٠٢**

**ردمك : ١-١٢١-٣٥-٩٩٦٠**

بسم الله الرحمن الرحيم




الولايات الهندية

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

# براءة
# تكريم الأدباء السعوديين

يسر وزير المعارف والرئيس الأعلى لجامعة الملك عبد العزيز - بناء على الصلاحيات المخولة له وبناء على المادة التاسعة والعشرين من نظام الجامعة وبعد الاطلاع على محضر مجلس الجامعة الثالث المنعقد بتاريخ ٥ / ٣ / ١٣٩٤ والمبني على توصيات اللجنة الفنية المنبثقة عن المؤتمر الأول للأدباء السعوديين لتكريم الأدباء.

أن يمنح السيد / محمد بن ناصر العبودي ميدالية الاستحقاق تكريماً لجهوده وإنتاجه الفكري

والله ولي التوفيق.

صدرت بمكة المكرمة في ٥ / ٢ / ١٣٩٤هـ
الموافق ٢٨ / ٣ / ١٩٧٤م

مدير الجامعة

وزير المعارف
والرئيس الأعلى للجامعة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، نعبده وحده وبه نستعين، ونصلي ونسلم على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد، فقد يسر الله لي القيام بزيارات متعددة إلى بلاد الهند الواسعة، وكلها زيارات عمل تتعلق بحضور مؤتمرات إسلامية، أو مهرجانات دينية، أو زيارات لجامعات ومدارس، أو حضور ندوات ومجالس تنضوي كلها تحت لواء الدعوة، أو تتصل بذلك.

إلا أنني كنت أنتهز الفرصة التي قد تسنح خلال بعض الزيارات، أو بعدها، وبخاصة في الرحلات الأخيرة إلى الهند، فأزور بلداً منها قريباً من موقع العمل، أو أمرّ بمدينة في الطريق إلى الهدف، أو في طريق العودة إلى الوطن.

وكنت على عادة لي قديمة أقيد ما أشاهده، أو ألاحظه وما أسمعه مما يوضح شيئاً مما شاهدته، أو أستنتجه، وحتى ما يبديه غيري ممن أثق به حول شيء من ذلك، وإن كنت أنسب القول إليه، لتكون العهدة عليه.

وقد أفصل القول تفصيلاً في بعض الأحيان، وأحياناً أخرى أتطرق في الكلام إلى أشياء من عادات الناس، أو مظاهر حياتهم، أو حتى من مناظرهم أنفسهم، ومن أشكال هندامهم، أو أنواع طعامهم؛

فضلاً عن طرائق كلامهم مما يلحقه بعض الناس بفضول القول، أو فصول الهزل، إلا أنني لا أوافق على ذلك، فأترك نفسي على سجيتها في الكتابة فأسجل كل ما أراه حتى يكون قارئ الكتاب عن ذلك البلد يتخيل كأنه قد رآه، وإذا اتصل الأمر بشأن من شؤون المسلمين، أو حال مؤسسة من مؤسساتهم، أو حتى قضية من قضاياهم فإنني أتبسط في القول فيه، وأطرقه من كافة نواحيه التي تدخل في شرط الكتاب.

وهدفي من هذا الكتاب - بالدرجة الأولى - هو أن يطلع الإخوة المسلمون في العالم على حال إخوتهم المسلمين في الهند، وعلى ما بذلوه: بل ما أسسوه واستنوه من عادات حميدة في عمارة المساجد، وإقامة الجامعات والمدارس، وتخصيص دور الأيتام، ورعاية العجزة وذوي العاهات.

كل ذلك بالاعتماد على الله، وابتغاء لوجه الله، لم يلههم طلب الدنيا عن طلب الدين، ولا شغلهم طلب الدين عن تحصيل القوت وصرف شيء مما فضل عنه على أفعال البر والإحسان، حتى غدوا في ذلك مضرب الأمثال منذ أجيال.

بل إن شهرتهم في هذا المجال قد تعدت مواطنهم الهندية إلى مهاجرهم في البلدان الأجنبية، فصرت ترى مسجداً يقام، أو مدرسة تعمر، أو شيخاً يستقدم من الهند لإمامة الكبار، وتعليم الصغار أينما حلت جماعة مسلمة من أهل الهند في أية بقعة من بقاع الأرض، حتى صرنا نقول للإخوة المسلمين من المهاجرين من بلاد الأكثريات غير المسلمة من غير القارة الهندية: إن لكم في إخوتكم المسلمين الهنديين

أسوة، بل قدوة، نستثير بذلك هممهم، ونشحذ عزائمهم.

وقد اجتمعت لي من الكتب التي كتبتها عن الهند عشرة؛ هذا الكتاب عن «شرق الهند» آخرها، وهي:

❖- «سياحة في كشمير». وهو مطبوع.

❖- «مقال عن بلاد البنغال» (معظمه عن بنغلادش). مطبوع.

❖- «غرب الهند» من سلسلة الرحلات الهندية. مطبوع.

❖- «شمال شرق الهند» من سلسلة الرحلات الهندية.

❖- «وسط الهند».

❖- «راجستان: بلاد الملوك» وهو مطبوع.

❖- «نظرات في شمال الهند».

❖- الاعتبار في السفر إلى ماليبار».

❖- «جنوب الهند » وهو مطبوع.

فكتاب «غرب الهند » يتضمن الحديث عن رحلات في ولايتين هما: (مهارسترا، وكجرات).

ويتضمن كتاب «وسط الهند» الحديث عن رحلتين في ولاية (مادهي براديش) وهي بمعنى الولاية الوسطى، وهي أكبر الولايات الهندية مساحة، وإن لم تكن أكثرها سكاناً.

كما يتضمن كتاب «نظرات في شمال الهند» رحلات في ولاية (إترابراديش)، والحديث أيضاً عن (دلهي) عاصمة الهند.

وأما «في جنوب الهند» فإنه يشتمل على الكلام على رحلات في الولايات الجنوبية: (كارناتك، وتامل نادو، وإندرابراديش).

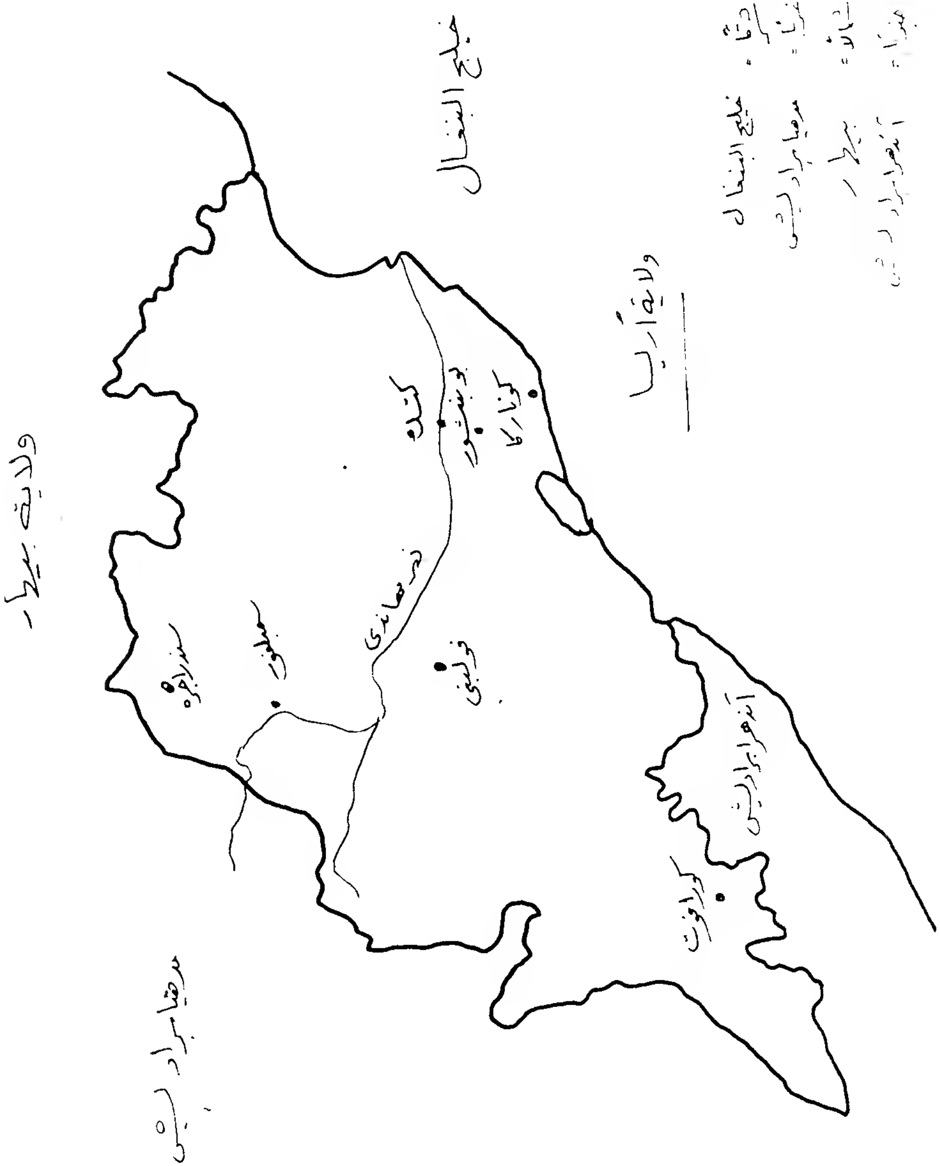
وهذا الكتاب عن شرق الهند كنت قررت أن يشتمل على رحلات في ولاية «أوريسا»، وولاية غرب البنغال، ثم ولاية آسام في الشمال الشرقي؛ غير أنني لم أستطع السفر إلى آسام، فذكرت ما قيدته عن الولايتين الأوليين مؤجلاً الحديث عن «آسام» إلى فرصة قادمة إن شاء الله.

وأما كتاب «في شمال شرق الهند» فإنه يشتمل على الحديث عن ولاية بيهار، وعن منطقة من ولاية إترابراديش وهي المنطقة التي تحتوي على مدينة بنارس؛ مدينة الهنادك المقدسة، حيث يجري عندها نهر «الكنج»، أو (قانقا) كما يسمونه، وهو أقدس الأنهار عندهم، يحرقون على ضفافه موتاهم، ويرمون ما يتبقى بعد الحرق من رماد، أو حتى عظام لم تحترق فيه.

**المؤلف**

**محمد بن ناصر العبودي**

# ولاية أوريسا




ولاية أوريسا

## ولاية أوريسا:

تأتي ولاية أوريسا في الدرجة السادسة عشرة من ولايات الهند من ناحية عدد المسلمين، وهي ولاية كبيرة المساحة، واقعة في شرق الهند، ومساحتها ١,٥٥,٧٠٧كيلو مترات مربعة، وعدد سكانها ١٥,١٢,٠٧٠ وفق إحصائيات عام ١٩٩١م.

وتوجد فيها ٢٨ مديرية، ومعدل السكن هو ٢٠٢ نسمة في الكيلو متر مربع.

وقد فصلت ولاية أوريسا من ولاية كانت تسمى بـ: «ولاية بيهار وأريسة» في سنة ١٩٣٦م.

وعدد المسلمين ونسبتهم إلى باقي سكان الولاية من ١٩٥١م إلى ١٩٨١م كما يلي:

| العام | عدد المسلمين | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| ١٩٥١م | ١٧٦,٣٣٨ | ١,٢٠ |
| ١٩٦١م | ٢١٥,٣١٩ | ١,٢٣ |
| ١٩٧١م | ٣٢٦,٥٠٧ | ١,٣٩ |
| ١٩٨١م | ٤٢٢,٢٦٦ | ١,٦٠ |

ويسكن في ولاية أوريسا أقل قليلاً من ١ ٪ من كل مائة شخص من سكان الهند، ويقدر أن عدد المسلمين قد بلغ في هذه السنة ٦٠٠,٢٠١ ألف نسمة.

ومن هنا يتبين أن نسبة المسلمين بين سكان الولاية قليلة جداً، فهي أقل من ١ ٪ في تسع مديريات من مديريات أوريسا الثلاث عشرة، أما المديريات الأربع الباقية، فعددهم فيها أكثر من ٢ ٪، وهم أقل من ٣ ٪ في المديرية الشمالية «سندر كراه»، والمديرية الجنوبية «فوري»، وهم في مديرية «كتك» ٣,٦٣ ٪ نسمة، وفي المديرية الشمالية الشرقية ٣,٩٨ ٪ نسمة.

وتقع ثلاث مديريات: كورابت، وكالاهندي، وغن جام في منطقة دندكارنيا؛ حيث يقل عدد المسلمين بشكل ظاهر جداً، وكذلك يقل المسلمون في مناطق أوريسا الوسطى الجبلية.

والمسلمون أيضاً قليل جداً في مديرية «بهول باني» سوى المناطق الجبلية لهملايا، وعدد المسلمين في مديريات دهنيكانال، وبولنغيه، وكالاهندي أقل من خمسة آلاف نسمة.

والواقع أن المسلمين يعيشون في المناطق الساحلية أكثر منهم في المناطق الداخلية.

وتوجد في ولاية أوريسا كلها ١٢ قرية، و٣ مدن لا يوجد فيها أحد من المسلمين في سنة ١٩٨١م، ومنها قرية في مديرية سنبل فور، وقرية في سندر كراه، وقريتان في دهنيكانال، وقريتان في كورايت، وقريتان في غنجام، وثلاث قرى في مديرية بهول باني، وأما المدن الثلاث التي ليس فيها أي مسلم فإنها تقع في مديرية غنجام.

وقال السيد عبد الحي الحسني؛ والد أبي الحسن الندوي في كتابه: «الهند في العهد الإسلامي»:

(( **أريسة:**

أرض فسيحة من الهند على ساحل البحر، يحدها البحر وسلسلة الجبال، ومن جانبيه بنكاله وبهار، طولها مائة وعشرون ميلاً، وعرضها مائة ميل، ينزل بها الغيث ثمانية أشهر، ويكون البرد بها ثلاثة أشهر، والحر شهراً واحداً، وهذه البلاد كثيرة الأرز، والرياحين، والكادي، وورق التنبول، وطعام أهلها الأرز والحوت.

وأشهر مدنها «كتك »، وبها قلعة حصينة، و «برشوتم »، وبها معبد للهنادك؛ يسمونه: «جكن ناته »، وهي من أعظم كنائسهم، بها تمثال «كشن »، وأخيه وأخته من عود الصندل، يغسلونها في اليوم والليلة ست مرات، ويلبسونها في كل مرة ثوباً من حسان الأثواب، ويخرجونها في كل سنة، ويركبونها على عربة عظيمة، لها ست عشرة عجلة، ويزعمون أن من يسوق تلك العربة، فقد نجا في الدنيا والآخرة، وقد يفد عليه خلق كثير زهاء ستمائة ألف من الناس من نواحي الهند، ومن خصائصهم في ذلك اليوم أنهم لا يحترزون عن غيرهم بها في المأكل والمشرب )).

يوم الإثنين ١٤٠٨/١/٢١هـ - ١٩٨٧/٩/١٤م:

**من دلهي إلى بونيشر:**

قمنا من مطار دلهي في الساعة الحادية عشرة ضحى على طائرة شركة الطيران الهندية الداخلية المعروفة باسم (إنديان أيرلاين)، وهي غير شركة (أيرانديا) التي تعمل خارج الهند ما بينه وبين الهند.

وهي من طراز «بوينج ٧٣٧»، وهذا الطراز هو الغالب على طائرات هذه الشركة الداخلية؛ مع وجود طائرات أكبر منها لدى الشركة تعمل بين المدن الكبيرة في الهند، وهي من طراز الحافلة الجوية (إيرباص)، وتعمل مثلاً بين بومبي ودلهي، وبومبي وحيدر أباد، ودلهي وسرنقر عاصمة ولاية كشمير.

وقد امتلأت الطائرة بالركاب، وأكثر ركابها سياح من ذوي المظهر الأوروبي، وفيها من أهل الهند من الطبقة الغنية الذين هم أكثر ركاب هذه الطائرات في الهند.

والمضيفة ربما كانت من أهل ولاية أوريسا التي نسافر إليها، فليس عليها مظهر أهل دلهي.

ولاحظت أن بعض الركاب الأوروبيين الذين كانوا في الصف معي يحملون وعاء حافظاً لبرودة الماء «زمزمية» يشربون منه في الطائرة، وذلك لما هو معروف من عدم التأكد من تطهير مياه الشرب في الهند، لذلك تغلي الفنادق الكبيرة الماء لنزلائها، ثم تبرده، وتحفظه لهم، وتنص على أنه مغلي، ولم أر مياهاً معدنية محفوظة يسهل الحصول عليها للبيع في الفنادق ونحوها.

ولذلك كنت أعاني حرجاً من شرب الماء؛ لأن الوقت حار، وبخاصة في دلهي، وحتى إذا ما ذكر العامل في الفندق أن الماء مغلي، فإن الثقة بكلامه ليست سهلة، وإنما كنت أجمع الليمون الصغير (البنزهير)، وأعصره على الماء لإزالة الوسواس من عدم نظافته.

عندما نهضت الطائرة، وكان مقعدي على النافذة، اتضح مدى المحل والجفاف من قلة الأمطار في منطقة دلهي، وتمثل ذلك في قلة الحقول الخضر، وكثرة الأراضي المهيأة للزراعة ولم تزرع.

وكان الهواء في دلهي أمس سموماً حاراً ذكرني بهواء الرياض في الصيف؛ بل كان أشد منه حرارة رغم كون الموسم هذا في دلهي هو موسم الأمطار؛ ولكن الأمطار لم تسقط إلا بمقادير قليلة هذا العام، وهم يعتمدون على الأمطار في أكثر المزروعات أهمية عندهم.

مع أن نهر «جمنى» المقدس عند الهنادك الذي يمر بمدينة دلهي فيه مياه كثيرة، ولكن الكلام في الأماكن البعيدة منه، وحتى القريبة منه لا يمكن ريها بالقنوات لارتفاعها عن مستوى مياه النهر، ولا يستفيد أكثرها من مياه النهر لعدم توفر المحركات التي ترفع المياه.

ومن الأشياء التي يحكونها ويكررونها أنه في هذه الفترة التي تعاني فيها ولايات هندية من المحل وانحباس الأمطار مثل منطقة دلهي، وولايتي كجرات وراجستان فإن ولايات أخرى كبيهار تعاني من فيضانات عارمة، بل مدمرة أتلفت المزروعات، وقتلت بعض الماشية، وقطعت وسائل المواصلات البرية.

أما ضيافة الطائرة في هذه الساعة التي تسبق ساعة الغداء، فإنها قرص صغير من البسكويت، وكوب من الشاي، ولا يعرضون عليك أن يزيدوك من الشاي إذا لم يكفك الكوب الواحد كما تفعل بعض شركات الطيران في البلدان الأخرى.

وهذا مثل من أمثلة البخل والتقتير في الطائرات الهندية.

ارتفعت الطائرة، وحال غيم كثيف دون رؤية الأرض حتى قاربنا الوصول إلى مطار مدينة (رايبور).

وقد اخترقت الطائرة طبقات السحب وهي تدور لتنزل في مطار (رايبور) الذين ذكروا أنه من المقرر أن تنزل فيه قبل (بونيشر) عاصمة ولاية أوريسا.

ثم اتضحت أرض (رايبور) خضراء فيها نهر صغير يتلوى في الريف، وكأنها لا تعاني من قلة المطر والجدب الذي تعاني منه منطقة دلهي مثلها في ذلك مثل (بونيشر) التي سنذهب إليها بعدها.

وظهرت حول البلدة عدة بحيرات، أو مناقع مياه واسعة، وربما كانت من المطر، إذ الفصل الآن فصل الأمطار، وإن نكن في آخر هذا الفصل.

واستمرت رؤية المناقع والبحيرات الصغيرة.

هبطت الطائرة في مطار (رايبور) هبوطاً صعباً إذْ ضربت عجلاتها الأرض فاهتزت الطائرة كلها لتلك الضربة كعادة الطيارين الهنود فيما رأيته منهم أن يكون هبوط الطائرة غير سلس.

وكان هبوطها في الساعة الثانية عشرة والربع ظهراً؛ أي بعد طيران استمر ساعة وربعاً في مطار بقربه حقول خضر، وأشجار برية خضر أيضاً، وبجانبه قطيع من الجواميس يرعى في العشب.

ووقفت عند البناء الموجود في المطار، وهو صغير جداً، ولعل ذلك لعدم وجود طائرات كثيرة تنزل في المطار إذ لم نلاحظ وجود أية طائرة أخرى فيه.

ومع ذلك بادر جندي مسلح، فوقف عند الطائرة، وحول الدرج كان جنديان آخران مسلحان، كأنهما لحراسة الطائرة عند الهبوط، أو الإقلاع، أو لحراسة المطار من أن يدخل إليه داخل من غير المأذون لهم بالدخول.

نزل أكثر ركاب الطائرة، وبقينا نحن الذين نريد الذهاب إلى أوريسا بالطائرة، ومعنا عدد من السياح من خارج الهند من ذوي اللون الأوروبي.

ثم غادرت الطائرة مطار (رايبور) بعد أن لبثت فيه ٤٥ دقيقة، وأعلنوا عند القيام أن الطيران إلى (بونيشر) عاصمة أوريسا سيستغرق (٤٥) دقيقة أيضاً.

وقدموا عند الطيران ما اعتادوا أن يقدموه، وهو صحن تحمله المضيفة فيه (الكراوية) وهي التي تسمى عندنا في نجد بالحلوة، أو حبة الحلوة، ومناديل صغيرة للتنظيف، وأكياس ورقية صغيرة فيها قطن يضعه الراكب في أذنيه إذا أراد، وكذلك الحلوى المعتادة.

ونهضت الطائرة، فمرت فوق نهر شحيح المياه، وقدموا الغداء

بسرعة، وهو قطعتان من شرائح الخبز (ساندوتش)، وعلبة صغيرة من الصفيح فيها صلصة وكأس من عصير البرتقال.

ثم مرت الطائرة فوق نهر كبير مفعم بالمياه حتى إن ضفافه تكاد تفيض، وهو يجري بين حقول خضر ريانة مما يدل على أننا بدأنا نصل إلى المنطقة التي لا تشكو من شح الأمطار.

## في مطار بونيشر:

نزلت الطائرة في مطار تحيط به أعشاب كثيفة عالية، وقد أعلنوا أن درجة الحرارة في المطار هي ٣٢ درجة، وهذه الدرجة مقبولة؛ بل جيدة عندنا إذا كانت مصحوبة بالجفاف، أما إذا كان معها رطوبة فإنها تضايق الإنسان.

ولم أكن حصلت على اسم فندق مناسب للنزول في بونيشر، لذلك عندما اقترب مني شخص ونحن في انتظار وصول الأمتعة، وعرض علي فندقاً ذكر أنه يمثله، استفسرت منه عنه، فذكر أنه من فنادق الدرجة الأولى ذوات النجوم الخمس، أجرته ٤٢٥ روبية؛ إلا أنهم سيخفضون الأجرة ٢٠ ٪، وسينقلني بسيارته للفندق.

ولم يكن من عادتي أن أسرع بالاستجابة إلى مثل هذه العروض، ولكنني في هذه المرة وجدتني أستجيب لأن وجه الرجل يوحي بالثقة، ولأنه أقنع راكباً آخر هندياً كان معي؛ مظهره مظهر المتعلمين الأغنياء بالنزول في الفندق.

جاؤوا بالأمتعة فوضعوها في قاعة الدخول مما يلي ساحة المطار؛ لأنه ليس في القاعة سير متحرك لنقل الأمتعة إلى الداخل، فحمل

الرجل أمتعتي إلى السيارة، وقبل مغادرته القاعة عرض عليّ شخص آخر السكنى في فندق عنده، فخاصمه الذي حمل أمتعتي، ولم أكن ركبت سيارته بعد.

### في مدينة بونيشر:

سارت السيارة مع طريق لا بأس بها في الجودة، وإن لم تكن واسعة، وسط جو ريفي أخضر ندي، ذكرني بالأجواء الاستوائية في إفريقية خاصة، فالأشجار هي الأشجار الاستوائية من النارجيل والموز.

وحتى الناس هم شديدو السمرة إلى درجة تقرب من السواد، والجو حار رطب، وحتى التربة تشبه التربة الاستوائية في ميلها للحمرة.

أوصلني الرجل إلى فندق جيد اسمه «كونارك هوتيل» يعتبر من فنادق الدرجة الأولى.

فأنزلوني في غرفة في الطابق الخامس ذات شرفة مفتوحة؛ تشرف على قسم حديث من المدينة، وشوارع فيها رئيسية؛ لأن الفندق نفسه هو حديث الإنشاء.

فانتهزت الفرصة وصورت المنطقة التي بدت من الفندق غارقة في الأشجار الخضراء، وهي خضرة نضرة مما يدل على عدم وجود المحل، وعلى ندى في الجو.

وكل شيء هنا أحسن من دلهي للسائح، فالفندق أرخص، والجو خال من السموم، إلا ما يتعلق بالآدميين، فالأمر واضح في أن أهل دلهي الذين يبدو كثير منهم، وبخاصة السكان الذين ليست لهم علاقة بالريف، في لون سكان الجزيرة، أما هؤلاء فإن لونهم هو السمرة

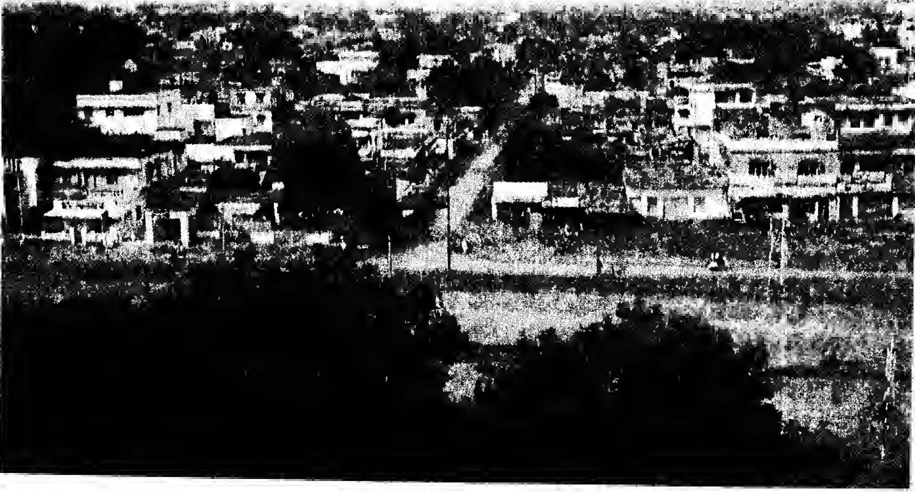
الشديدة، ومعها نحافة زائدة.



منطقة حديثة في بونيشر

## الاتصال بالمسلمين

استرحت قليلاً في الغرفة وأنا أفكر في كيفية الاتصال بالمسلمين، فلم أستطع الحصول على عنوانات لزعماء المسلمين ممن اجتمعت بهم في دلهي أو سرنقر، ومنهم الشيخ عبد الحميد عبد الجبار الأمين العام السابق لجمعية أهل الحديث في الهند، ومدير مركز أبي الكلام آزاد للتوعية الإسلامية في دلهي في الوقت الحاضر، وكان في توديعي في مطار دلهي هذا الصباح.



**جانب من مدينة بونيشر كما صورته من أعلى مكان في الفندق**

وذلك لكون المسلمين قلة في هذه المدينة، كما في جميع أنحاء ولاية ((أوريسا)) على اختلاف بين مدنها في ذلك، كما أن المسلمين على قلتهم فيها هم ليسوا بأقوياء، يعني أنهم ليسوا من أهل الثراء والجاه، والاتصال الدائم بإخوتهم المسلمين في بقية أنحاء الهند.

لذلك حزمت أمري على أن أعمل بوسائلي الخاصة للوصول لما أريد من المعرفة عن المسلمين هنا، ونزلت إلى مكتب الاستقبال في الفندق، وفيه فتاتان من الهنادكة، لأنهما تضعان العلامة المميزة، وهي نقطة من الصبغ في الجبهة، وفتى يظهر أنه هندوكي، وإن كان مظهر الهنادكة والمسلمين العصريين لا يكاد يختلف كثيراً.

فسألت الفتى عما إذا كان يعرف بوجود مسجد هنا في بونيشر؟

فسألني عما إذا كنت مسلماً، فأجبته بأنني مسلم ولله الحمد قدمت سائحاً إلى هذه المدينة، وأريد الذهاب إلى مسجد لأداء الصلاة.

فنادى حارساً على باب الفندق، وكلمه بلغته، وقال لي: إن هذا الرجل هو مسلم، وهو يستطيع أن يخبرك بمكان المسجد الذي تريده.

كان الرجل يعرف شيئاً من الإنكليزية، وقد سره وجودي، وقال: أنا مسلم، وينتهي عملي في الثامنة ليلاً، وأود أن أصحبك إلى المسجد إذا انتهيت من العمل.

فقلت له: إنني لا أستطيع أن أضيع وقتاً في الانتظار، وأريد أن أرى المسجد الآن، فخرج معي من الفندق، ونادى عربة ـ ركشاوية قدمية - نسبة إلى القدم لأن سائقها يسيرها بقدميه - وتكلم مع سائقها، وهو هندوكي، بكلام لا أفهمه، وقال لي: يمكنك أن تركب مع هذا الرجل، وإذا أوصلك إلى المسجد تعطه أجرته، وهي خمس روبيات.

وقد راقني ذلك إذ أركبني الرجل خلفه في مقعد للراكبين في الدراجة التي هي دراجة هوائية معتادة غير أنها بثلاث عجلات، وصار يسوق الدراجة وسط الشارع الرئيسي الذي عليه الفندق، وأنا مستمتع برؤية الناس والعربات التي أكثرها هي هذه الدراجات الهوائية التي يستعملها الناس بمثابة سيارات الأجرة في تنقلاتهم داخل المدينة، وسيارات الأجرة هنا نادرة لا تكاد ترى، كما أن العربات الركشاوية التي يسمونها «موتور ركشا»، وهي التي تسير بمحرك صغير، وهي كثيرة جداً في أكثر مدن الهند هي هنا قليلة.



الشارع العام في بونيشر

**مسجد العاصمة :**

أوقفني الرجل عند مسجد العاصمة (كابيتال مسجد) كما يسمونه؛ أي أنهم لا يقولون فيه: (مسك) كما في الإنكليزية، وإنما يقولون: مسجد.

دخلت المسجد، وكانت بقيت على صلاة العصر بقية من الوقت، أكثر من الساعة، لأنهم يؤخرون صلاة العصر كعادة أكثر أهل الهند.

لذلك كان عدد الذين في المسجد قليلاً، منهم عدة أشخاص

رأيتهم في ظل شجرة من أشجار العمبة (المانغو) وهم يعملون في سف المكانس وغيرها من سعف النارجيل، وكذلك مع بعضهم ريش من ريش الطاووس ينسقونه ليكون كالمراوح.



## جامع العاصمة في بونيشر

وهذه الشجرة من شجرتين كبيرتين في فناء المسجد لا شك في أنهما كانتا قد نمتا قبل البدء ببناء المسجد لضخامتهما، فتكلمت معهم، فلم يفهموا كلامي، ولم يبدوا أية رغبة في أن يفهموه، وقلت لهم: عربي كلام: زبان أربي، وزبان: لسان بمعنى لغة.

وقلت لهم: إنكلش كلام، فلم يفهم مني أحد منهم ما أرمي

إليه، وجاء صبيان فسألتهم أيضاً، فلم يفهموا قصدي.

فخرجت إلى الشارع أبغي تصوير المسجد، وذلك لأن منظره يغري بالتصوير بقبة له ومنائر جميلة، منها اثنتان كبيرتان، وثمان صغيرة، فصورت ماشئت.

ثم عدت إلى المسجد وأنا معلق آلة التصوير بيدي، ولم أجد من القلة الموجودة من الناس في المسجد إلا الحملقة.

## جامع العلوم:

كدت أيأس، وإذا برجل يأتي إلي، فأسرع إليه أسأله عما إذا كان يعرف العربية، أو الإنكليزية، فقال: مولانا جامع العلوم.

ثم ذهب إلى جهة خلفية من المسجد لم أذهب إليها من قبل لأن للمسجد فناءين: أحدهما من الأمام، والآخر من الخلف، فرأيت شيخاً عنده تلاميذ لا بأس بعددهم، وعليه لباس طلبة العلم في الهند الذي يلبسه من يلقبونه (مولانا)، ومولانا في الأصل تقال لمن يحصل على رتبة (مولوي)، وهي رتبة من الدراسة الدينية معينة، ثم صار يطلق على طالب العلم، أو إمام المسجد، أو معلم الدين.

سلمت على الشيخ المدرس، فرد علي السلام بفصاحة فرحت لها، إلا أنني عندما زدت على ذلك وقف عن الكلام، واكتفى بالحملقة، وتبين أنه لا يحسن العربية مع أنه يفترض أنه يعلم العربية؛ لأن الطلاب عندهم يدرسون العلوم الدينية.

ولما أبديت عجبي من ذلك قال: أُردو، أوردو، زبان أردو، هماري مدرسة. أي مدرستنا تدرس باللغة الأوردية.



مكتبة المدرسة الإسلامية في جامع العاصمة في بونيشر

وجلست عنده رغم كونه لم يدعني للجلوس؛ لأنه لم يفهم قصدي، ولا يدري من أي بلد أكون، ومظهري مظهر السائح الأجنبي

بالنسبة لأهل البلاد، وقد علقت مصوّرتي في يدي، وقلمي مع دفتر لي صغير في جيبي.

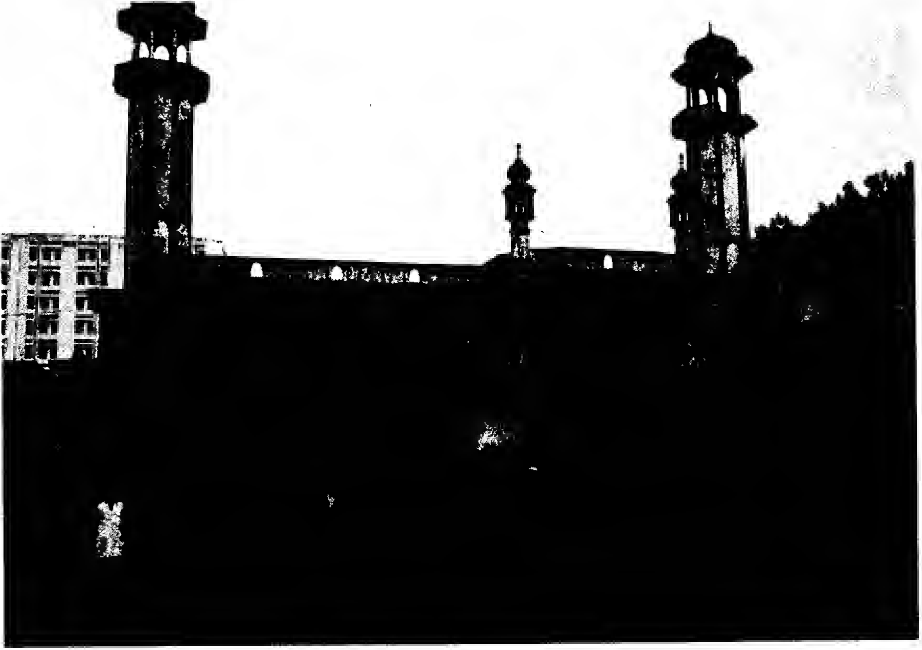
وكان طلابه جالسين على الأرض، والجو فيه رطوبة، وقد تجمعوا حوله، فصارت لهم رائحة ذكرتني برائحة كانت لكتّاب قرب بيتنا أدخلني والدي فيه قبل خمس وخمسين سنة، وهي رائحة منفرة، ولكن للضرورات أحكام.

وعرفت أن المدرسة اسمها (جامع العلوم)، وأن عدد طلابها الحاضرين هم (٦٥)، وقد كتبوا اسم المدرسة بحروف عربية (جامع العلوم منجانب مجلس دعوة الحق، بردوني، يوبي)، وتشغل مكاناً خلفياً من المسجد كما تقدم، وأن اسم الشيخ المدرس هو (محمد أطهر)، وهو من ولاية يوبي، وقد رفض أن ألتقط له صورة مع طلابه. ثم تركته بعد أن تركني بإقباله على عمله، والانصراف حتى في النظر عني.

ثم جاء فتى أظنه يريد الوضوء يعرف الإنكليزية اسمه (محمد رياض إلي)، وهو أول شخص يستطيع أن يفهم مني ما أريد، فأفهمته أنني أخ مسلم من مكة المكرمة، جئت سائحاً إلى هذه البلاد، وأحببت الاطلاع على المساجد والسلام على الإخوة المسلمين، فعاد بي ثانية إلى (مولانا)، وأخبره بخبري، فلم يزد على أن هز رأسه بعد أن أعاد النظر إلي وسكت.

ثم حدثني (محمد رياض) عن نفسه أنه طالب في الكلية، وأن درسه سيبدأ بعد قليل في الخامسة، ولذلك هو مضطر إلى الذهاب إلى

الكلية، فحاولت بكل ما أستطعت أن أجعله يبقى معي، فاعتذر بأنه لا يستطيع التخلف عن المحاضرات في الكلية.



## واجهة جامع العاصمة في بونيشر

وعدت مرة ثانية أتأمل المسجد وما حوله، وقد كثر الفضوليون، وبخاصة من تلاميذ (مولانا) الذين كانوا يتسللون من عنده، ثم يبدأون التجمهر حولي والحملقة في كل ما أفعله.

فرأيت أن بناء المسجد بناء قوي، وعلمت بواسطة الفتى محمد أنه بني بتبرعات المسلمين، ولم تأتهم معونات من الخارج، وأنه أكبر المساجد في هذه العاصمة (بونيشر) التي هي عاصمة ولاية أوريسا

كما هو معروف.

ويقع المسجد على شارع رئيسي مهم أسمه (ساتي باليمارك)، وهو واسع يشبه الشوارع الرئيسية في أحد البلدان الأوروبية الصغيرة، وقد غرسوا عليه أشجاراً وارفة الظلال، وأبعدوا البيوت عن الشارع، ولكل بيت واجهة كالحديقة، وفي أجزاء منه (عمارات) عالية حديثة.

وقد نمت الحشائش الوحشية، أي التي لم تزرع على أرصفته العريضة التي هي كلها غير مبلطة إلا جزءاً صغيراً من الرصيف بقدر ما يتسع للماشي.



**الشارع الذي عليه جامع العاصمة في بونيشر**

وذلك له فائدة في مثل هذا الوقت الذي جعل المطر فيه الرصيف

الترابي زلقاً، فانتفعنا بالسير على ذلك الجزء الضيق المرصوف منه بالإسمنت.

وفي جانب الشارع مجرى للسيل واسع معتنى به، ومغطى في كل جوانبه بأغطية من ألواح الإسمنت.

وهذا الشارع باتساعه وتنسيقه وجمال الأبنية الحديثة الموجودة عليه ما يحق أن تفتخر به هذه العاصمة الإقليمية، ولا تزال هناك أبنية عديدة متعددة الطوابق تبنى فيه ولم تكتمل بعد، وفيها العاملات الهنديات الموجودات في أكثر أنحاء الهند، يعملن في أعمال البناء، وحفر وشق الطرق من أجل رخص أجرتهن بالنسبة إلى العمال من الرجال.

والشيء الظاهر أن الرطوبة والندى يعني الخصب وكثرة الأمطار، هي السائدة بخلاف غرب الهند الذي تركته قبل أيام؛ حيث المحل والجدب وقلة المطر هذا العام.

ومع أن هذا الشارع واسع جداً، فإنه ليس فيه قسم للذاهب مفصول عن الذي للآيب إلا بخط منقط بالبياض يميز بين مسار السيارتين المتقابلتين.

**الفرج مع الصلاة:**

لم أجد لي فائدة من الجلوس هنا إلا أنني آثرت أن أبقى إلى صلاة العصر قائلاً في نفسي: إذا فاتتني الفائدة الأدبية، فلا ينبغي أن يفوتني الأجر.

واستندت إلى سارية في المسجد أنتظر الأذان، وكان عدد من الأطفال يأتون فيجلسون بالقرب مني يتفرجون برؤيتي.

وأذن للعصر فصار الناس يتقاطرون على المسجد حتى اجتمع منهم طائفة لا بأس بعددها، ومنهم شخص صار مهماً لي فيما بعد، وكان جاري في الصلاة، فلما صلينا سلم عليَّ، فسألته عما إذا كان يعرف الإنكليزية، فأجاب: نعم؛ بل كان فصيحاً بالإنكليزية مما نفعني، وانضم إليه غيره ممن كان يترجم.

وقال هذا الأخ: اسمي دكتور محيي الدين علي، وأنا لست طبيباً بشرياً، بل طبيب حيوان، أي بيطري.

فسألته والحاضرين عن عدد المساجد، فقال أحدهم: خمسة، وقال غيره: أربعة. ثم قال رجل منهم: سنة جماعة أربعة، وقادياني مسجد واحد. فأخبرتهم أن القاديانيين ليسوا من المسلمين، وأنه صدرت فتوى من عدة جهات معتبرة بأنهم ليسوا من الفرق الإسلامية. وتحدثنا معهم في شؤون من شؤون المسلمين في هذه المدينة، فكان قولهم: إن عدد المسلمين في بونيشر يبلغ عشرة آلاف من مجموع سكانها الذي يقارب المليون.

### الإرداف على الدراجة.

عندما أبديت للأخ الدكتور محيي الدين علي رغبتي في رؤية المساجد في هذه المدينة بصحبته، رحب بذلك وأخذني إلى فناء المسجد الخارجي، ووقف عند دراجة نارية فركبها، وقال: تفضل اركب خلفي. فقلت له: إنني أريد أن نستأجر سيارة تكون أيسر لنا، وأكثر

راحة لا سيما أن في بعض الأماكن غير المزفتة من الطريق مناقع ماء.

فقال بحزم: لا، سنركب هذه الدراجة، ثم أمرني بالركوب خلفه، وترددت، فأنا لم أركب دراجة نارية في حياتي إلا مرة واحدة قبل سنتين في مدينة سرنقر عاصمة كشمير.

وأسرع بدراجته وأنا أتمايل عند الدوران، ويخيل إلي أنني سأسقط من الدراجة، ولكنه يمد يده من خلف ظهره يحاول أن يمسك بي دون أن يلتفت، ثم يقول لي: تمسك بكتفي.

وأنا أقول له بكل رجاء وتوسل: من فضلك تمهل، إنني أخشى السقوط، فلا يستجيب لطلبي لثقته بأن لا داعي لخوفي.

وكان يمر بمناقع الماء في الطريق، وأنا أحاول أن أرفع نفسي لئلا يصيبني البلل، فيتفاداها بمهارة، ولكن مع ميل الدراجة.

وكدت أقص عليه قصة معاذ بن جبل في حديثه عن الرسول ﷺ أنه قال: كنت رديف النبي ﷺ على حمار، وأقول له: إن دراجتك هذه هي خير من ألف حمار، وأنا عندما أبديت رغبتي بعدم الركوب فيها لم يكن الدافع لذلك هو الترفع عنها، وإنما هو الخوف من عدم التعود عليها.

ولكن الدكتور محيي الدين كان مشغولاً بالانتباه لطريق دراجته، ودراجته كانت ترسل أصواتاً متلاحقة من خلفها يخيل إليَّ أحياناً أنها تشبه الطلقات، من فرط التأثر.

على أنني تذكرت بعد ذلك أن موضوع الترفع عن ركوب

الدراجة النارية أمر غير مفهوم في الهند؛ لأن الحصول على دراجة هو مزية كبيرة.

## في مسجد المقبرة:

تنفست الصعداء عندما قال الدكتور محيي الدين أخيراً: نعم إننا سنصل المسجد، ها هو، وكنت سألته عدة أسئلة عما إذا كنا قد وصلنا للمكان الذي نقصده حرصاً مني على النزول إلى الأرض.

ووقف عند أرض مسورة تغمرها الحشائش، فنزل من الدراجة وهو يقول:

هذا هو (قبر ستان مسجد) أي مسجد المقبرة، فقلت له: هل يصلي الناس الصلوات الخمس في هذا المسجد، مع أن المعتاد أن مسجد المقبرة يخصص للصلاة على الموتى؟ فقال: نعم، إنه تقام فيه صلاة الجماعة في الأوقات الخمسة. لأنه لا يوجد مسجد غيره في هذه المنطقة من المدينة. فسألته عما إذا كان يوجد ولي مدفون في هذه المقبرة كما في بعض المقابر في الهند؟

فأجاب: لا، هذه مقبرة جديدة أعطتنا إياها الحكومة.

قال: ولذلك ترى أن المسجد لم يكمل بناؤه؛ لأن النفقة قد قصرت عن إكماله.

وتجولت في المكان فوجدت المسجد صغيراً، والمراد به المبنى المخصص للمسجد، وإلا فإن هناك أرضاً بجانبه يمكن أن تزاد مساحته منها، وذكر لي أن المسلمين ضعفاء، ومع ذلك فإن المسجد بني من تبرعاتهم، ولكنهم لم يستطيعوا الاستمرار بالعمل فيه لذلك

السبب.

فسألته عما إذا كانوا قد اتصلوا برابطة العالم الإسلامي في مكة، أو بغيرها من المؤسسات الإسلامية التي يمكن أن تتبرع لهم بالمساعدة على بناء المسجد؟ فأجاب بالنفي وقال: إننا حتى لا نعرف كيف يكون الاتصال بالرابطة، لو أردنا ذلك.

فأخبرته بكيفية الكتابة للرابطة من جمعية المسجد، وقلت له: إنني أرجو أن تجعلوا عنوان الكتاب لي حتى أعمل بنفسي على إرسال المساعدة إليكم لأني شاهدت حاجة المسجد إلى المساعدة، وذلك جزء من عمل الرابطة ومن واجبها تجاه الإخوة المسلمين في الخارج.

ويقع المسجد في حي اسمه (شيتا نقر) وهو حي لا بأس به، أكثر الأبنية فيه من لبن الإسمنت، وأكثرها بيوت متفرقة غير متلاصقة؛ مما يدل على أن الحي حديث العمارة، ولا تزال فيه أراضٍ لم تعمر بعد.

## مسجد أهل السنة والجماعة:

أمرني الدكتور محيي الدين علي بحزم أن أركب ثانية خلفه على الدراجة، وانطلق بها وسط شوارع بونيشر؛ التي أكثرها مزفلت، وكنت أخشى على نفسي السقوط، وهي مستوية قليلة الحفر، إلى أن خرج منها إلى حي سيء جداً؛ بل لا يمكن تصور سوئه، وأول ذلك أن أزقته لم تعرف الزفت.

والبيوت فيه بعضها من الخيش، وحيطان الجيد منها من الصفيح الصدئ، وبعضها من لبن الإسمنت الرث الذي يبدو كأنما

وضع وضعاً دون بناء.



**شارع يدخل منه إلى الحي الشعبي في بونيشر**

وقد اختلط الحيوان هنا بالناس، وعمت المناقع والأوحال الصغيرة أزقة الحي، فاختلطت بالمياه القذرة الخارجه من بعض البيوت.

وقد رأيت فيه منظراً تتقزز منه النفس، وهو منظر عدد من الأطفال من بنين وبنات يقضون حاجتهم في أزقة الحي تحت بصر الناس وسمعهم، فيرفعون ثيابهم إلى حلوقهم، ثم يجلسون يفعلون ذلك دونما مبالاة، مما يدل على أنهم قد تعودوا عليه، وأن الناس قد تعودوا على رؤيتهم.

وقد اختلط الذباب بالناس في الأزقة.

وأما مناظر الناس الذين في الحي فإنها غاية في السوء والمسكنة، فالوجوه أكثرها صفر على سمرتها الشديدة ونحافتها المعهودة؛ حتى إنني أرى طائفة من النساء، وكأنما يحركن أجسامهن بمشقة وصعوبة من فرط الهزال، وربما أيضاً من المرض.

وأما الملابس فإنها مهلهلة أوبالية، ونظافتها لا تبعد عن المستوى نفسه.

وعجبت لمجرد وجود مثل هذا الحي الذي لا يليق بالإنسان أن يسكن فيه في الغابات المتخلفة، فكيف به في دولة الهند التي تدعي لنفسها دعوى فيها صحة في بعض المجالات أنها ذات علماء يواكبون العصر، وقد فجرت الذرة، وصنعت الطائرة والدبابة.

وذكرت الفرق العظيم ما بينه وبين الحي الذي فيه مسجد العاصمة على (ساتي باليمارك)، وبيوته النظيفة، أو حتى المنطقة التي فيها فندقنا.

وطرأت على ذهني مقولة سمعتها من خالي الذي عاش في الهند قبل ثمانين سنة وهي قوله: إن فقير الهند فقير جداً وغنيهم غني جداً.

ولا شك في أن الطبقات التي كانت ولا تزال تتفاوت في الحياة باقية في كثير من أحوالها، إلا أن طبقات من الهنود قد اندمجت فيما يقاربها، فالغني قل غناه بسبب الضرائب، والفقير جداً خف فقره إذا كان يرغب في العمل ويستطيعه، وبذلك وجدت في الهند في الوقت الحاضر طبقة متوسطة عريضة لم تكن موجودة من قبل بهذه السعة، وإن كانت الطبقة المعدمة لا تزال موجودة.

أوقف الدكتور محيي الدين دراجته في مكان متسع من الحي خلاف أزقته الضيقة وفي ذلك المكان الذي يشبه الميدان الصغير يقع المسجد.

وعندما نزلنا من الدراجة التف علينا جمع من أهل الحي كانوا موجودين في الأزقة لأن سوء حالة البيوت فيه يجعل الناس يهجرونها إلى الخارج.



**مسجد أهل السنة والجماعة**

وبين الذين تجمعوا طائفة من الإخوة المسلمين رأيناهم في المسجد، وطائفة أخرى من الكفار رأوا هيئتي هئية سائح غريب ليس من المعتاد دخوله في حيهم فجاؤوا بدافع الفضول.

ولم أستطع أن ألتقط لأزقة الحي الرديئة صوراً بسبب نقص الضوء، لأن السماء كانت غائمة جداً ولئلا أتهم بأنني جئت لالتقاط المناظر السيئة في المدينة.

وأما المسجد فان لافتته كتب عليها بالأوردية بحروف عربية بطبيعة الحال:

(جامع مسجد حبيبية أهلسنت وجماعت بوينت ٣ بونيشر) أي مسجد الحبيبية الجامع لأهل السنة والجماعة في منطقة ٣ بونيشر. وذلك أن الحي الرديء الذي يقع فيه المسجد يسمى بونيشر رقم ٣

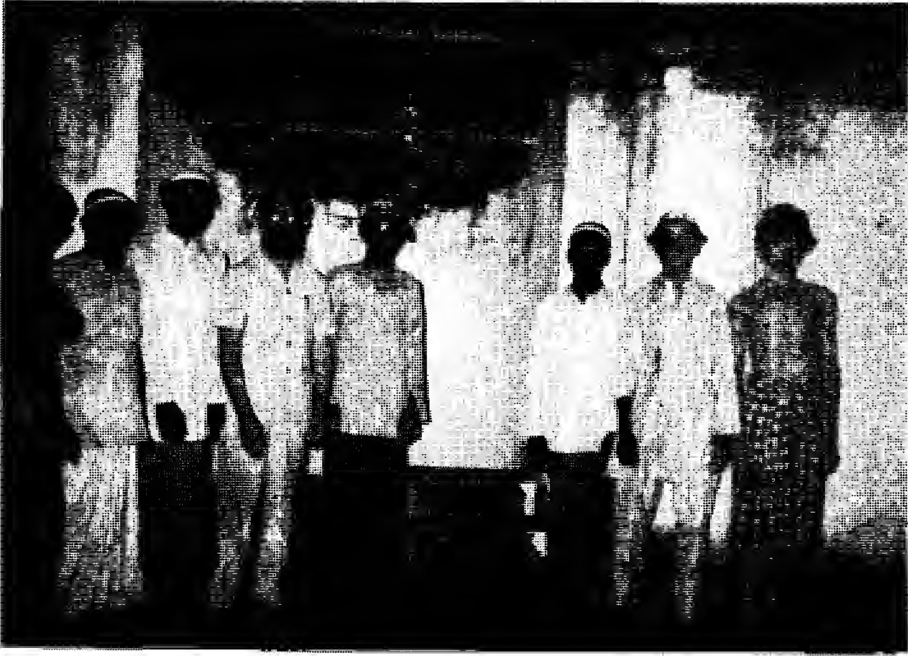
وكتبوا تاريخ بناء المسجد عليه، وأنه في عام ١٩٧٧.

كان قد كثر الفضوليون الذين تجمعوا علينا في المسجد، ومنهم شيوخ من المسلمين، فسألتهم عن الذي بنى المسجد؟ فأجابوا بأنه بني من تبرعات المسلمين في هذه البلاد، ولم يصلهم فلس واحد من خارجها.

ودخلنا المسجد فإذا هو أحسن من بيوت الحي بكثير، ولكنه أيضاً في حالة محزنة من حيث المظهر، فهو يتألف من قسمين يفصل بينهما قليل من الفراغ الذي تجمع فيه ماء المطر، أحدهما مسقف بالقش على هيئة سنام البعير، والثاني مسقف بالصاج على شكل سنام أيضاً، وكله في نظر زري، والعجيب أن قسميه منفصلان، وربما كان ذلك لكونهم بنوا كل واحد منهما على حدة.

وتبين عدم إتقان البناء في تسرب ماء المطر من بعض نواحي السقف.

وقد التقطت صورة في محرابه مع بعض المسلمين، وقد بنوا له في حافات سقفه ٦ منارات رمزية صغيرة أشبه بالشرفات التي تكون فوق الحيطان.



**في محراب مسجد أهل السنة والجماعة في بونيشر**

وأنهينا رؤية المسجد فوجدنا طائفة من الفضوليين الفارغين ينتظرون أيضاً عند باب المسجد، وكانت بي رغبة للتجول في هذا الحي؛ غير أن الشمس كانت قد أو شكت على المغيب، وشريط المصورة قد امتلأ بالصور، ويحتاج إلى تغيير، ولا يمكن إبداله هنا.

فاكتفيت بإلقاء نظرة أخرى حزينة على هذا الحي الحزين. فرأيت بعض البيوت أشبه بالخيام المرقعة؛ لأن سقوفها وجوانبها من

الخرق الممزقة التي جمع بعضها إلى بعض، وبعضها لم يكلف أصحابها أنفسهم حتى ترقيعها أو خياطتها كلها بعضها إلى بعض، فبقيت ممزقة متفرقة، وهكذا التأخر إذا حل بالقوم، فإنهم يتركون عمل ما في مصلحتهم حتى ما يقدرون عليه بأنفسهم. وبعض المنازل غرفة واحدة من القش القذر.

وحتى الزقاق الذي يخترق الحي قد صار طيناً ووحلاً بعد المطر، ويخوضه الناس وهم حفاة، وبعضهم نصف عراة.

وأما أحوال السكان في هذا الحي، فحدث ولا حرج عن ألوانهم الحائلة، وقاماتهم النحيلة الهزيلة، وتعجب من كونهم يجرون أرجلهم جراً كأنما تعجز عن حمل أجسامهم مع أنها نحيلة ضئيلة، ولكن لاشك في أن السبب في ذلك كونها هزيلة، وبخاصة أجسام النساء اللاتي يؤثر عليهن الحمل والولادة، دون عناية بتغذيتهن أو صحتهن.

ولقد رأيت عدة أطفال ضئيلي الأجسام جداً، وهم فيما يظهر من مناظرهم من ذوي الأعمار التي تقاس بالشهور؛ لأنهم لم تصل أعمارهم إلى السنة، ولكن نحول أجسامهم وصغرها هو أمر غريب.

ركبنا دراجة الدكتور محيي الدين، وعيون أهل الحي تكاد تأكلنا حسداً وغبطة لنا بوجود هذه الدراجة النارية معنا.

وقد يكون الدكتور محيي الدين نسي أنني معه، فأسرع في سيره، وأنا أقول له: من فضلك تمهل، إنني أخاف السقوط من الدراجة، فيقول لي دون مبالاة: لن تسقط، وإذا خشيت ذلك أمسك بكتفي، إنني أريد أدراك صلاة المغرب في الجامع.

والمهم عندي أنني خرجت من حي (بونيشر) رقم ٣ إلى أحياء المدينة ذات المنازل المعتادة، والشوارع المزفتة.

وقفنا في الشارع الواسع النظيف شارع (ساتي باليمارك) الذي فيه جامع العاصمة بسعته ونظافته، والبركة الواسعة المليئة بالماء في المسجد.

وقد أذنوا لصلاة المغرب بعيد السادسة بدقائق، فصلينا المغرب في المسجد.

ثم ذهبنا إلى الفندق مع الدكتور محيي الدين الذي أصر على أن يركبني خلفه بدراجته، ولم يرض بأن أركب دراجة ركشاوية.

وودعته على أمل اللقاء في السابعة من صباح غد، وأن يحضر لي سيارة أجرة يقودها أخ مسلم يحسن الإنكليزية؛ لأنني سوف أذهب إلى خارج عاصمة الولاية هذه (بونيشر) وبخاصة إلى العاصمة السابقة للولاية مدينة (كتك) التي توجد فيها نسبة من المسلمين أكثر من الذين يوجدون في بونيشر.

**عشاء هندي:**

كنت رغبت من الأخ الدكتور محيي الدين على أن يقبل دعوتي للعشاء في الفندق وغيره، ولكنه اعتذر بأن أهله ينتظرونه.

فسألت الأخ المسلم الذي يحرس باب الفندق عن الطعام في هذا الفندق أهو حلال؟

والمراد حسب عرفهم وتعبيرهم أن يكون اللحم الذي يقدم فيه

ذبحه مسلم، فأجاب بأنه حلال لأنه لا يذبح الغنم إلا المسلمون.

وكان عشاء الفندق حساء من العدس شديد الحرارة؛ لأنهم أكثروا فيه من الفلفل رغم كوني أخبرتهم أنني لا أطيق الفلفل في طعامي، وكونهم وعدوني بعدم وضع الفلفل فيه.

ولكنهم فيما ظهر لي من أمرهم يكونون قد وضعوا شيئاً من الفلفل في طعامهم قبل طبخه، والطبيعي أن يزيدوه عند الطبخ، وهذا هو الذي يعدونك ألا يضعوه فيه، وإلا فإنك لا يمكنك أن تجد في الهند طعاماً هندياً لا فلفل فيه، إلا إذا كان ذلك في البيوت ، وبناء على معرفة مسبقة بأنك لا تطيق الفلفل في الطعام.

كما جاؤوا بالأرز معه الكاري، وهو المرق الهندي الثقيل الذي خلطوا عدة توابل فيه وطحنوها، فصار ثقيلاً ملئياً بالفلفل الحار، يضعون عليه الزيت، أو دهن اللحم اذا كان اللحم غير بالغ الدسم من أجل مقاومة تأثير الفلفل الكثير على المعدة حسب قولهم؛ مع أنه كان بإمكانهم أن يقللوا الفلفل، أو لا يضعوه في هذا (الكاري)، فلا يحتاجون للدسم الذي يقاوم تأثير الفلفل على البطن.

ومع ذلك سلطة خضرة أكثرت عليها من عصر الليمون الصغير (بنزهير) من أجل تطهيرها، والذي ضايقني أن عامل المائدة في مطعم الفندق كان يقف على رأسي ويقول: أهو طيب؟ هل أعجبك الطعام؟

ثم يذهب لبعض شأنه ويعود ليقف ينظر إلى كيفية أكلي، وإذا رفعت طرفي إليه ألقى بالعبارات المألوفة: هل أعجبك هذا الطعام؟

وكانت قيمة وجبة العشاء هذه ٥٥ روبية ويساوي ذلك مع

الحلوان (البقشيش) حوالي خمسة عشر ريالاً سعودياً.

يوم الثلاثاء ١٤٠٨/١/٢٢هـ ١٩٨٧/٩/١٥م.

## جولة في بونيشر.

وقد تصح كتابتها (بو بنيشر) والنطق الأول هو الإنكليزي الشائع، أما لغة (أوريا) التي هي قبائل الأوريين الذين سميت هذه الولاية على أسمهم (أوريسا)، فإنها تنطق باسم المدينة بونيشر.

وهذا يذكرني بإسم (نادي) المدينة التي فيها المطار الدولي في جزر فيجي الواقعة في جنوب المحيط الهادئ، فاسمها ينطق به (نادي)، و(ناندي) لاختلاف الفرق بين الاسم العالمي لها، و الاسم المحلي.

وقد آثرت أن أكتب اسم هذه المدينة (بونيشر) لكونه أخف وأشهر عند الأجانب.

حضر إلي أخ مسلم يسوق سيارة أجرة في الساعة الثامنة متأخراً بعض الشيء، وذكر أنه مرسل من الدكتور محيي الدين، وأنه سيمر ببيته لأخذه معنا.

فغادرنا الفندق في الثامنة، وركبت مرتاحاً في سيارة صغيرة من صنع هندي ذكروا أنها مصنوعة في كلكتا، وهي من طراز (امباسادور)، فاخترقنا المنطقة الجيدة نسبياً التي فيها فندقنا حتى وصلنا شارعاً منازله من طابق واحد أكثرها من الإسمنت، وبعض الحوانيت فيها مرفوع عن الأرض اتقاء لرطوبة الأرض، كما يكون ذلك في المناطق الرطبة كالمناطق الاستوائية.



**الشارع الذي قرب بيت الدكتور محيي الدين في بونيشر**

وأما المارة والسكان في هذه الشوارع، فإنهم شديدو السمرة، ونساؤهم لا يبالين بالزينة في الثياب والوجوه، وربما لا يقدرن عليها، وأكثر الألوان في ثيابهن هو البني والأخضر.

### مع ملك سادات الله:

جاء الأخ الدكتور محيي الدين من بيت له خارج هذا الشارع، وركب معنا فابتدأنا الجولة في الثامنة والنصف مع سائق مسلم ماهر في قيادة سيارته اسمه: (ملك سادات الله) وملِك بكسر اللام ظاهرة المعنى، وإنما باقي الاسم: (سادات الله) يحتاج إلى تفسير، فهي جمع

سيد، وإضافة السادة إلى الله معناه السادة الذين حصلوا على ذلك بطاعة الله، كما كان العرب يقولون في قريش: ((أهل الله)) لأنهم سدنة بيته، وسكنة حرمه.

وهذا مثل من أمثلة الإغراق في الأوصاف، أو المدح والثناء في مدلولات الأسماء عند إخواننا أهل الهند، ودرجوا على التسمية بهذه الأسماء التي طابعها المبالغة، وإن لم يعرفوا معناها، أو حتى إن لم تكن منسجمة مع حال المسمى.

وأذكر أن طالباً بنغالياً كان يدرس عندنا في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة عندما كنت أعمل أميناً عاماً لها، كان اسمه (خورشيد عالَم) وعالَم بفتح اللام: هو العالم، وهو ماسوى الله سبحانه وتعالى، كما ذكر العلماء ذلك في تفسير قوله في سورة الفاتحة: ﴿الحمد لله رب العالمين ۝١﴾، وهو جمع عالم هذه. وخورشيد: كلمة فارسية الأصل معناها شمس، وإذاً معنى ذلك الطالب هو (شمس العالم)، مع أنه أسيمر؛ بل أسيود، بعيد عن الشمس في لونه وسحنته، وبعيد عن الجمال المادي بتقاسيم وجهه.

ومثل هذا كثير كتسميتهم بشمس الضحى وقمر الزمان.

وانهمر المطر عندما بدأنا السير في الثامنة والنصف، فقصدنا مكتب الخطوط الهندية للحجز إلى مدينة (كلكتا) كبرى مدن الهند التي سوف أذهب إليها بعد الانتهاء من زيارة ولاية (أوريسا) هذه.

واشتد هطول المطر واستمر، فبقينا في مكتب الخطوط، ومن الطريف أن بقرة كانت موجودة في الشارع ترعى من حشائش أرض لم

يبن فيها، عندما اشتد عليها المطر أقبلت تتبختر وكأنها تتمطى، ودخلت في هذا المكتب الرسمي: مكتب خطوط الطيران الهندية (إنديان أير لاين)، فدخلته على ضيقه، ولم يمنعها منه أحد، ولم يصدها صاد حتى خف المطر قليلا، فخرجنا وهي فيه.

وكأنما هذه البقرة التي عرفها بنو قومنا العرب بقلة الفهم، وغباء الطبع تعرف أنها في هذه البلاد الهندية تعظم؛ بل تقدس، لذلك تفعل ما يفعله الحيوان المدلل، ولا نقول الإنسان المحبوب.

## في ريف بونيشر:

لم نستطيع أن ننتظر وقوف المطر كلية، فخرجنا من مدينة بونيشر إلى ضاحية؛ بل إلى منطقة خارجة عن المدينة واقعة في الريف اسمها (آدي باسي)، وذلك من أجل الاطلاع على الريف في هذه الولاية وزيارة حديقة للحيوان هناك.

وتبعد ٢٢ كيلو متراً من ضواحي المدينة التي تليها.

والضاحية التي خرجنا منها إلى الريف جيدة البيوت واسعة الشوارع.

سلكنا طريقاً لا بأس بزفتها؛ إلا أنها ضيقة، وتشق ريفاً أخضر ندياً ترى فيه بين الفينة والأخرى حانوتاً من الخشب مرفوعاً عن الأرض اتقاء للرطوبة، وبيوتاً سقوفها من القش على شكل مسنم، مما يعطي الانطباع بأن المنطقة مطيرة، فكون البيوت مسنمة السقوف يسهل انزلاق الأمطار عنها، بخلاف ما إذا كانت السقوف مسطحة، فإن ذلك يدل على قلة الأمطار في الغالب مثلما عليه البيوت

في بلادنا.



في ريف بونيشر

وأما هنا فإن المطر كثير وفير، وقد رأيت منه ما أعجبني كثرته، وإن كان لم يعجب أهل هذه الولاية؛ لأنهم كانوا قد اعتادوا على أمطار أكثر منه في موسم الأمطار، هذا الذي نحن الآن في أواخره، ورأينا في الطريق منظراً تكثر رؤيته في الهند، وهو عربة محملة بالحطب والقش يجرها ثوران يستعملان الطريق الإزفلتية، فيضايقان مرور السيارات، وهما يطوحان برأسيهما يميناً وشمالاً كأنما يتحديان بذلك هذا العصر الحديث، وهي غير الأبقار الكثيرة التي ترعى على جوانب الطريق. ومنظر فلاحة تحمل شيئاً على رأسها.

وأما الخضرة على الطرق، فإنها بالغة، وهي أعشاب وحشية نامية على حافة الطريق مباشرة، وفوقها أشجار غير عالية مغروسة على جانبي الطريق، وبعد ذلك تأتي حقول خضر نضرة؛ بل بالغة الخضرة، وأكثرها من حقول الأرز والذرة، والأرز أكثر وأشمل.

والفلاحون يسيرون على أقدامهم بكثرة بملابسهم المتسخة، ومظاهرهم غير الوجيهة، وبعض هؤلاء الفلاحين يكتفون بلبس إزار، وهو الفوطة، ورأيت واحداً منهم بهذا اللباس واقفا بالقرب من طفل له يتغوط بجانب الطريق دون أن يتستر بشجرة أو نحوها.



الخضرة الطبيعية بجانب الطريق الريفي في بونيشر

ثم اتسعت حقول الأرز الخضر، ومر الطريق فوق نهير ذكروا أنه يعتبر عندهم بمثابة القناة، وأنه فرع لنهر، ولا يعتبرونه نهراً مستقلاً، وذلك لكثرة المياه عندهم.

أما الماشية الموجودة هنا غير البقر فإنني رأيت قطيعاً من الغنم السود النحيلة، كما رأيت أسراباً من الطيور البيض التي نسميها الغرانيق - جمع غرنوق - وهي من طيور الماء.

## في حديقة الحيوان:

تراجع مرافقاي فيما بينهما، وذكرا لي أن منطقة (آدي باسي) التي كان من المقرر أن نذهب إليها من أجل رؤية القبائل الهندية التي لا تزال تعيش الحياة القديمة، أن تلك المنطقة بعيدة، ويصعب عليهم الذهاب اليها، وإنما سنذهب لرؤيةحديقة الحيوان، وتقع على بعد ٢٣ كيلو متراً من ضواحي بونيشر.

دخلنا بسيارتنا في الحديقة مقابل رسم زهيد، وذلك لكون المطر كان لا يزال يهطل، ويصعب المشي في الحديقة، إلا أن المطر سرعان ما خف، وإن لم يكف عن السقوط.

كان أول شيء وقفنا عنده أسوداً ضخمة هندية، وضبعاً محلية واحدة في جحرها، والعادة أن يكون الضبع زوجاً في حدائق الحيوان، وهو الضبع الذي نعرفه في بلادنا، وقد صنعوا في جحر الضبع وإن شئنا الفصاحة قلنا: (وجار) الضبع، لأن الضبع تسكن في صدوع الجبال والأماكن الصخرية الواقفة، أي الشقوق التي تكون فيها، وتتخذ وجارها شقاً لا يكاد يتسع لجسمها، وهذا جزء من دفاعها عن

نفسها.



وقد صنعوا (وجار) الضبع هذا من الإسمنت المسلح شبيهاً بوجارها الطبيعي الذي تتخذه في الجبال.

وقد عانيت من سقوط المطر حيث يصعب التصوير، وأخاف على المصورة من أن تتعطل، ولجأنا إلى ظل شجرة كبيرة عندما اشتد المطر مرة أخرى، فرأيت نساء وأطفالاً قد احتموا من المطر، فصورتهم هذه الصورة.



**أطفال في حديقة الحيوان لجؤوا عن المطر إلى ظل شجرة**

ولكن الله نفعنا بالسيارة إذ عدنا نتجول فيها داخل الحديقة.

ومن الأشياء المتميزة في هذه الحديقة قفص دب مبني وسط الماء خوفا من هربه، أو اقتراب الناس منه، وهو دب أسود، وفرس النهر وهو يسبح في الماء والمطر ينزل عليه، وهو الذي يسمى في مصر (سيد قشطة).

ومن الطريف وجود قرود طليقة في الحديقة، وذلك مألوف في كثير من الأماكن في الهند حتى في أسواق البيع والشراء، وقد رأيت قرداً في داخل مسجد في مدينة (جيفور) عاصمة ولاية راجستان.

أما زوار الحديقة فإن عددهم قليل ربما كان ذلك بسبب المطر،

وبعضهم أحضروا معهم المظلات الواقية من المطر، ورأيت نسوة من أهل البلاد قد تحلين بحلية جعلنها على رؤوس أنوفهن؛ خرقن رأس الأنف، ووضعن الحلية فيه، وهن شديدات السمرة.

وواصلنا السير في هذه الحديقة الواسعة، فوجدناهم قد وضعوا قرداً أسود من نوع الشمبانزي في قفص واسع، ولكن عليه خندق يفصل بينه وبين الناس.

ورأينا نوعاً آخر من قرود الغوريلا صغيراً قد أدارو حوله خندقاً أيضاً عريضاً؛ بحيث لا يستطيع الغوريلا أن يقفزه.



خندق حول قفص الغوريلا في حديقة الحيوان

وفي قسم من الحديقة عرضوا أنواعاً متعددة من الطيور، راقني منها منظر مالك الحزين قد وقف على رجل واحدة ساهماً كمن يفكر في أمر هام.

وفي الحديقة ناحية عرضوا فيها أنواعاً من الظباء؛ بعضها معها أخشافها - جمع خشف - وهو ولد الظبية.

والحديقة جيدة التنسيق، ذات أشجار باسقة، وأخرى من أشجار الظل ضخمة ، لا شك في أن ذلك يرجع إلى كونها في الماضي غابة طبيعية أبقوا بعض أشجارها على ما هي عليه عندما اتخذوها حديقة.

## مع آدي باسي :



مع أفراد من (آدي باسي)

و(آدي باسي) قبائل من القبائل المتخلفة التي تعيش في هذه المنطقة، واسم مكانهم (آدي باسي) على اسمهم، وكان هدفنا في أول الأمر أن نزورهم في مقرهم ذلك؛ غير أن مرافقي ذكرا أن الوقت لا يتسع للذهاب إلى هناك.

واكتفينا بزيارة الحديقة، وعندما خرجنا منها رأينا طائفة من (آدي باسي) هؤلاء، ولكنهم ممن يعملون في البلدة، وعليهم ملابس معتادة بالنسبة إلى عامة الناس في هذه الولاية، فالتقطت صورة معهم،

ولم يمانعوا في ذلك.



مع جماعة من الريفيين خارج حديقة الحيوان

**الريف الجميل:**

وقفنا عند نهر في ريف أخضر جميل المنظر، وناهبلت بمنظر نهر مفعم بالمياه يشق ريفاً أخضر، ندي المنظر، ولا ترى من الريف كله إلا هذه الحقول الخضر، والنهر الفضي المياه الذي ينساب بينها.

وهذه الحقول أكثرها من الأرز النضر، والأرز غذاء رئيسي في سائر بلاد الهند ماعدا الشمال؛ حيث القمح ينافس الأرز، وإن كان الأرز قد صار له اعتباره الآن في جميع أنحاء الهند.



**مع الأخ السائق في ريف أوريسا الجميل**

ومع الأسف الشديد، فإن هذه المنطقة من الريف ليس فيها مسجد، وليس في سكانها مسلمون معروفون، وإن وجدوا فإنهم أفراد، وإلا فإن المنطقة كلها من كفار الهنود الذين هم الهنادكة، ومن المعروف أن ولاية (أوريسا) هذه تقل فيها نسبة المسلمين كثيراً حتى إنها تعد من الولايات المعروفة المعدودة في قلة المسلمين.

وفي هذا الريف أيضاً جواميس كثيرة رأيناها بقرب النهر، أما البقر، فإننا رأينا واحدة رابضة في وسط الطريق الإزفلتي الضيق، وهي تفعل ذلك آمنة من أن يضربها أحد ليبعدها عن الطريق؛ لأن الكثير من القوم هنا هم من الهنادكة الذين يعظمون البقر.

**اللغـــة:**

تكلمنا على الديانة هنا، وهي أن أكثر الناس ديانتهم الهندوكية، وهم من المتمسكين بها، حتى إن المظاهر المتخلفة في الديانة الهندوكية كتماثيل الفروج التي تعبد وتعظم، وكذلك تماثيل المعاشرة ما بين الرجل والمرأة، وبين الحيوان بعضه مع بعض، لا تزال موجودة في بعض معابدهم يزورونها ويعظمونها، ويتمسكون بها.

وأما اللغة، فإن لهذه الولاية لغتها الخاصة بها وهي الأورية نسبة إلى القوم الذين يسكنون الولاية وهم الأوريون أو (الأوريس) بالإنكليزية.

ولهذه اللغة هجاء خاص، وكتابة معقدة غريبة، ولكنها ليست ظاهرة في اللافتات بكثرة، وإنما الإنكليزية هي الأكثر في اللافتات واللوحات الموضوعة على المتاجر والأماكن المهمة.

وتشبه حروف لغتهم للغريب الذي يراها، وهو لا يعرفها، حروف اللغة التاملية الموجودة في ولاية (تامل نادو) المجاورة التي عاصمتها مدينة مدراس.

**مسجد أولت:**

عدنا من حديقة الحيوان إلى مدينة بونيشر وقصدنا مسجداً يسمى (مسجد أولت)، ويقع في حي (نوابلي)، وهو مسجد صغير جداً بني على هيئة غرفة واحدة صغيرة، وليس فيه محراب فضلاً عن أن تكون له منارة، وإنما وضعوا في مقدمة سطحه شرفتين صغيرتين على هيئة منارة لا يزيد ارتفاع الواحدة منها عن المتر، وهو مبني بلبن

الإسمنت بناء رثاً ، ومع ذلك يقع وسط أرض واسعة تابعة للمسجد ، في وسطها أرز نامٍ على المطر ويأملون أن يدرك ويجنوا منه حب الأرز.



**مسجد أولت والدكتور محيي الدين في أيسر الصورة**

أخبرونا أنه مسجد حديث لم يمض على بنائه إلا سنة واحدة، وأن السبب في بنائه على هذه الهيئة من الصغر وعدم الاحتفاء هو قصور النفقة؛ لأن الذين بنوه من المسلمين هم فقراء، ولم يحصلوا على مساعدات من خارج المدينة.

وذكروا أنهم اجتهدوا أولاً في أن تكون أرضه واسعة حتى إذا صار عندهم إمكان لبنائه بناء أقوى وأغلى، أو حتى بناءه على هيئة

مسجد ذي قبة ومنارة كان باستطاعتهم ذلك.

وذكروا أن هذه الأرض كانت أرضاً زراعية، ولذلك رأينا فيها شجرة كبيرة من أشجار النارجيل، وقد جلل العشب الأخضر الكثيف بقية أرض المسجد إلا ما زرعوا فيه الأرز منها.

ووجدت في المسجد أخوين مسلمين أحدهما اسمه غلام محمد خان، والثاني عبد الرؤوف بن عبد الرحمن، فالتقطت معهما صورة في داخل غرفة المسجد.



**داخل مسجد أولت في بونيشر**

ثم جاء أحد طلبة العلم واسمه (شمس الإسلام)، هكذا بدون تكملة للاسم كما هي عادتهم، وذكر أنه مدرس في مدرسة.

وقلت لهم والأخ الدكتور محيي الدين معهم، إنني أرجو أن تكتب لنا الجمعية المشرفة على المسجد تطلب مساعدة على تكملة بناء المسجد وتسوير أرضه، وسوف نرسل إليهم مساعدة من رابطة العالم الإسلامي على ذلك؛ لأننا نساعد أمثال هذه المساجد التي يحتاج أهلها إلى المساعدة على إتمام بنائها، وهذا من واجبنا.

وقد رأيت قناة صغيرة من المجاري القذرة منطلقة من أنبوب لهذه المجاري، وهي مارة بجانب حائط المسجد، فذكروا أنهم ليس باستطاعتهم تحويلها، أو حتى سقفها لقلة النفقة عندهم، فأبديت لهم أيضاً استعداد الرابطة للمساعدة على سقفها أو تحويلها إذا وافقت البلدية، وكانت موجودة بهيئتها هذه قبل أن تشتري الجمعية هذه الأرض للمسجد.

وأني لأرجو أن يكتب هؤلاء الإخوة إليَّ بالأمر بعدما أصل إلى المملكة، وقد قيدت في مذكرتي حال هذا المسجد وحاجته للمساعدة، وسوف نستجيب لطلبهم حالما يكتبون إلي إن شاء الله.

ثم تأملت بعض الأبنية في حي (نوابلي) الذي يقع فيه هذا المسجد، فإذا بها حوانيت (دكاكين) من الطين والخشب، وبعضها من الصفيح الصدئ، وأحسن ما عندهم من هذه الحوانيت ما كان مبنياً من الخشب، مرفوعا عن الأرض بأخشاب أو بلبن من لبن الإسمنت ليقيه ذلك رطوبة الأرض الندية.

وهذه الضاحية ذات طبيعة جميلة من خضرة عامة، وربى ترى على البعد قد جللها العشب الأخضر النامي من مطر الربيع، والربيع

عندهم هو هذا الفصل المطير، وإن كان بالنسبة إلينا هو فصل الصيف.



**حوانيت في حي نوابلي في بونيشر**

**إلى منطقة المعابد:**

والمراد بها المعابد الهندوكية؛ لأنها هي دين الأغلبية الساحقة من أهل هذه البلاد.

ذهبنا إلى منطقة المعابد هذه في الحادية عشرة والنصف، وتقع خارج المدينة في ضاحية كانت في القديم قرية منفردة أو بلدة كبيرة.

أوقف السائق السيارة عند حوانيت قليلة البضاعة تبيع أشياء مما

يأخذها السياح والزوار من أمثال هذه المناطق التي تعتبر سياحية، ومن مناطق المزارات مثل تماثيل صغيرة لآلهتهم أو صور للمعابد.



**منطقة المعابد الهندوكية في بونيشر**

واعتذر أخونا الدكتور محيي الدين عن اصطحابي لهذه المعابد الهندوكية تورعاً وترفعاً عن زيارتها، وقال: يذهب معك (ملك سادات الله)، ويعني به سائق سيارة الأجرة التي معنا.

وهذا من ورعه، وله سابقة أخرى في هذا المجال، وهو أنه امتنع عن أن يلتقط لي صورة في أول الأمر خوفاً من أن يناله الوعيد الذي ورد في الحديث للمصورين، فشرحت له أنني أعتقد أن هذا التصوير الذي

نقوم به ليس هو التصوير الذي ورد النهي عنه، وورد الوعيد لمن فعله؛ لأن هذا الذي نفعله، ويسميه الناس بالتصوير الشمسي (الفوتغرافي) هو في الواقع مسك الظل، أو إمساك الصورة التي تنعكس على جزء من هذه المصورة كما تنعكس على المرآة، وليس ذلك صورة للشخص، وإنما هو ظل الشخص، أو انعكاس شخصه.

فالوعيد ورد في المصورين الذين يضاهون خلق الله، وهنا إمساك الصورة التي خلقها الله، وورد في الحديث في النهي عن التصوير: (ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي، فليخلقوا ذرة، فليخلقوا شعيرة).

وفي مثل حالتنا هذه، لم نحاول أن نخلق صورة جديدة، أو شيئاً آخر، وإنما أمسكنا بهذه الصورة التي خلقها الله.

وأما في حالة التفرج برؤية المعابد الهندوكية الذي يعلم هو كما يعلم غيره أن القصد من رؤيتها هو التفرج بذلك، ومعرفة ما يعمله الكفار عندها حتى يزيدنا ذلك إيماناً بديننا الإسلامي الحنيف، وأن نجدد لله تعالى الحمد والشكر الذي هدانا إليه، ونجانا من هذا الدين الخرافي، بل الموغل في الخرافة والوثنية.

ولذلك لم أحاول أن أحمله على الذهاب معي، وتركته في السيارة، مع أن السائق الأخ (ملك سادات الله) دونه في النفع لي، فهو رجل صموت، ومعرفته بالإنكليزية محدودة، وثقافته العامة ضحلة.

**المعابد في الجبال:**

أكثر معابد الديانات لجؤوا إلى الجبال، بل إمعاناً في الاعتصام بها هي المعابد البوذية، فأغلب المعابد العريقة عندهم يبنونها في رؤوس

الجبال، أو في أماكن منيعة من أحضانها المرتفعة.



الدرج المنقور في الصخر للصعود لأحد المعابد

وقد كنت عانيت، وأنا قوي ولله الحمد، منذ سنوات من الصعود إلى معبد على درج حجري منحوت في الجبال لرؤيتها، وكان ذلك في (كاتمندو) عاصمة نيبال، وذكرت أمره في كتاب: ((في نيبال بلاد الجبال))، وفي مدينة (شنغماي) في شمال تايلند، وقصصت قصته في كتاب: ((مشاهدات في تايلند)) وحتى في ماليزيا حيث توجد بقايا تلك المعابد، وفي الصين التي كانت البوذية شائعة فيها قبل الشيوعية.

والمعابد الهندوكية فيها شيء من هذا الأمر؛ حيث يوجد بعضها في أماكن مرتفعة على التلال، أو في أحضان الجبال، وإن لم يصل في الارتفاع والاعتصام بها إلى ماتصل اليه المعابد البوذية.

صعدنا مع درج صخري صاعد إلى جبل متطامن، وهو درج رث غير مستوٍ، ولا مريح لمن يصعد عليه، وربما كان ذلك لكونه منحوتاً في الجبل، أو لكونهم أرادوا بذلك صعوبة الصعود على غير الذين يترددون على تلك المعابد.

ورأيناهم نحتوا عدة مغارات في الجبل؛ بعضها مغلق بأبواب وحجارة، ومنها واحدة جلس عند بابها طائفة من المتدينين أو الصوفية الهندوكيين.



**مغارة منحوتة في الجبل على مدخلها سادن المعبد**

وانتدب فتى هندوكي أن يجول بنا في هذا الجبل، ويشرح لنا ما نراه بالإنكليزية وذكر أنه دليل مخول بذلك.

والجبل قد تركت أشجاره معفاة من المس، لذا بقيت خضراء كثيفة.

## آلهة الهنادكة:

يقال إن آلهة الهنادكة يزيد عددها على ثلاثة آلاف، وأما الأشياء التي يقدسونها ويعظمونها كما يعظمون الآلهة فهي كثيرة.

ولكن المهم هنا أننا في أكثر المناسبات عندهم، أو الأعياد لهم نسمع بآلهة لهم جديدة لم نسمع بها من قبل.

ومن ذلك أننا رأينا مغارة واسعة في الجبل نصب فيها تمثال ذكر الدليل: أنه لإلههم (أولينت) ولما ذكرت له أنني لا أعرفه، وسألت عن رتبته في الألوهية عندهم قال: إنه مثل (كريشنا)، وكريشنا معروف عندهم مشهور، حتى إنه يقرن اسمه باسم كبير آلهتهم (رام)، ويرددون ذلك على جنائزهم، كما تردده مكبرات الصوت على نهر (الكنج) المقدس عندهم الذي يسمونه (قانقا)، وأعظم مراكز تقديس ذلك النهر عندهم في مدينة (بنارس) المقدسة عندهم، فيقولون: هاري رام، هاري كريشنا، هاري رام، هاري كريشنا.

وذكر الدليل أن الحكومة أغلقت هذه المغارة كلياً، فلا تفتح، وإنما ينظر الناس إلى تمثال (أولينت) من خلف الشباك، قال الدليل: والسبب في ذلك أن الناس يشوهون هذه المغارة بالكتابة، وربما تضرر

التمثال بالمسح أو باللمس مع أن الحكومة ترى أنه من الآثار الثمينة التي تنبغي المحافظة عليها، ولذلك يكتفي الناس بالنظر إلى التمثال.

وواصلنا الصعود في الجبل على طريق يتلوى، فينخفض ويرتفع يبحث عن صخرة يمكن وضع الرجل فيها دون الخوف من الزلل، حتى وقفنا عند مغارة مغلقة فيها تمثال (سانت سينات).

وقال الدليل: إن (سانت سينات) هذا هو واحد من ٢٤ إله عندهم من الآلهة التي تعظم، كذا قال، مع أن العدد كثير، وربما كانت لهؤلاء عندهم صفات غير صفات الأخرى.

تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

تعددت تماثيل الآلهة ومعابدها حسبما رأيناه وشرحه الدليل.

فقد رأينا معبداً ليس في مغارة، وإنما هو في مكان مبني بناءً محكماً معتنى به، وبابه مغلق يطل الناس من شباك منه على ما في داخله، فلا يشاهدون إلا تمثالاً ذكر الدليل أنه لإله لهم يقال له: (أدينا).

ومن الطريف أن المعبد مغلق كما قلت، ولا يستطيع المرء أن يدخله، ومع ذلك لا بد لمن يريد أن يطل من نافذة مغلقة أيضاً بشبك أن يخلع نعليه إذا أراد الصعود مع درج قصير يصل منه إلى حيث تلك النافذة.

وترى الناس من سياح وزوار من الهندوكيين يبادرون بخلع أحذيتهم، ثم يصعدون الدرجات المبنية ليحاولوا الحصول على إطلالة من نافذة عليها شباك.

ثم أوقفنا الدليل أمام بناء متوسط وقال بعناية واهتمام: هذا هو تمثال الإله (باراسنات) موضوع في معبده، وقد رأينا التمثال من الحجر الأسود، وهو ضخم يدل على القوة، وليس في المكان غيره، وذكر الدليل أنه معبد هذا الإله.

**وحتى السماء:**

وجدنا بركة ماء كتبوا عليها اسمها: (سكاي قانقا)، أي السماء الأم، مثلما قالوا في نهر (الكنج) المقدس عندهم: (قانقا مايا) أي قانقا أمنا.

ووجدنا طائفة منهم يمسحون وجوههم وأيديهم بهذا الماء يتبركون به، قال الدليل: هو نافع للصحة، لأنه من المطر، مع أن أكثر المياه، وبخاصة في هذه الولاية المطيرة هي المطر، إلا إذا أراد أنه لم تشبه شائبة من أخلاط الأرض.

وعلى كل حال، فإن كون ماء المطر مباركاً أمر ورد به القرآن الكريم: ﴿وأنزلنا من السماء ماء مباركاً﴾، ولكن معنى ذلك أن فيه بركة ونماء وصلاحاً للأرض والناس، وليس معنى ذلك أن يعتقد الناس أنه يشفي من الأمراض، وينفع في الصحة لكونه قادماً من السماء الأم.

وأرجو أن يلاحظ القارئ الكريم أنني لم أستكثر وجود هذه الأوثان والتماثيل وجموع الآلهة لمجرد كونها وجدت في الهند، فذلك كان له نظير في بلدان كثيرة، ومنها البلاد العربية قبل الإسلام، وإنما الذي يعجب له المرء أن تلك الآلهة التي وضعوا لها هذه التماثيل

هي جزء من دين لا يزال يتبعه أكثر الناس في بلاد الهند، بل لا يزال الذين يعتقدون في مثل هذه الأوثان ويعبدونها من دون الله يعدون بمئات الملايين في هذا العصر الذي انتشر فيه التعليم، واتسع التفكير في المادة وفيما وراء المادة، وتيسرت سبل البحث حتى في الأديان، وهذه الأمور مخالفة للعقول، ومغايرة لنواميس الطبيعة، ومع ذلك لا تزال طوائف واسعة منهم تؤمن بها، وتدعو إلى التمسك بها.

ولكن الأمر في هذا كما قال لي أحد الإخوة من علماء الهند عندما أبديت له عجبي من كون أفكار الديانة الهندوكية لا تزال لها أتباع مع مخالفتها للعقل، قال: إن القاعدة المتبعة عندهم أنه لكي تكون هندوكياً مؤمناً بالهندوكية عليك أن لا تستعمل عقلك في تعليل ما فيها من الأمور، أو بعبارة أخرى: عليك أن تلغي عقلك؛ لأن العقل يصطدم بكثير مما فيها.

هذا وقد فرغنا من رؤية الأماكن في هذا الجبل، وبقيت أماكن أخرى في جبال أخرى، وخرائب معابد واسعة، لا أدري سبب خرابها، وإنما بقي درجها وباحاتها وشواهد على أنها كانت قائمة هنا.

وألح الدليل في أن نذهب إلى جبل آخر لنرى معابد أخرى أو آثار معابد، فاكتفيت بما رأيته لضيق الوقت، وصورت بعض تلك الخرائب من بعد.

كما صورت المنطقة من رأس الجبل الذي كنا عليه.

**إلى مدينة كتك:**

مدينة (كتك) من مواطن المسلمين المعروفة في ولاية (أوريسا)

هذه التي يقل فيها المسلمون، والسبب في ذلك أنه كانت في كتك إمارة مسلمة.

كما كانت مركزاً من مراكز العلم يذهب إليه الناس من أنحاء أخرى من الأماكن القريبة من الهند.

إلا أنها شابتها شوائب من البدع والخرافات عند طائفة من أهلها الذين يعظمون المقبورين من الأولياء الصالحين؛ بل ومن الأحجار التي يدعون أنها صارت مباركة، ويتقربون إلى الله تعالى بشد الرحال إلى القبور والنذر لها، والخوف والرجاء من أهلها.

والمهم عندي هو أن أطلع على هذه المدينة، وأرى أحوال أهلها، وأعرف نموذجاً من نماذج الحياة العقلية أو العقدية عند بعض المخرفين من أهلها، وهذه نسبة إلى اتباعهم للخرافات والخزعبلات، وليست نسبة إلى كونهم فقدوا عقولهم المعيشية، وصاروا من المخرفين الذين لا تمييز عندهم في أمور الدنيا.

غادرنا فندق (كونارك) الذي كنت أسكنه في بونيشر بعد أن دفعت أجرة الليلة الواحدة (٣٤٠)روبية، وذلك في الواحدة والنصف ظهراً وخرجنا فوراً من المدينة على سيارة الأخ، (ملك سادات الله)، ولكن من دون أن يكون الدكتور محيي الدين معنا، فقد اعتذر بوجود شغل له يمنعه من الذهاب إلى (كتك).

واخترقنا ضاحية من ضواحي مدينة (بونيشر) واسعة الشوارع فيها الأشجار التي تنمو في المناطق الاستوائية والشبيهة بالاستوائية كالنارجيل والموز مما جعلها تبدو في عيني أشبه ببعض البلدان

الإفريقية القريبة من خط الاستواء، وليس فيها أشجار من التي تنبت في البلدان الصحراوية أو القريبة من الصحاري كالتي رأيتها نامية في مدينة دلهي وما قرب منها.



**في ريف أوريسا بنيات على رؤوسهن الحطب**

إلا أن اللافت للنظر هنا كثرة الأبقار حتى في هذه الضواحي، وهي مهملة في الشوارع، وإن كان كلها مملوكا يعرفه أرباب، ويتعاهدونه بالحلب وغيره، وأبقارهم جيدة المظهر، فليست هزيلة كالأبقار الموجودة الآن في ولاية راجستان التي نكبت بالمحل واحتباس الأمطار عنها مدة طويلة، وقد ذكرت شيئاً من الحديث عنها في كتاب: ((راجستان: بلاد الملوك)) من هذه السلسلة الهندية من

الرحلات.

وخرجنا إلى أطراف الريف، فكان اللافت للنظر فيه لباس القرويات اللاتي يضعن لفافة على الصدر تقوم مقام الصَّدري والقميص القصير الكمين الذي تضعه ساكنات المدن في الهند على صدورهن، وهو قصير بحيث يبدو ما تحته من الصدر، ويغدو ماحاذاه من الظهر مكشوفاً.

والشاحنات من السيارات كثيرة في هذا الطريق؛ لأنه يذهب إلى ولايات أخرى كالبنغال الغربي، ويصعب تجاوزها مع بطئها في السير بالنسبة إلى سرعة السيارة الصغيرة، وذلك لضيق الطريق ولكثرة السيارات المقابلة التي لا تدع فرصة لمن يريد التجاوز.

وقد كثرت السيارات في هذا الطريق كثرة لافتة للنظر حتى إنها فيه أكثر منها في شوارع المدينة بونيشر، ولا شك أن السبب في ذلك أن معظمها من الشاحنات التي لا تتجول في المدينة، وهي قد اشتريت للتجارة والنقل لا للاستعمال الشخصي.

## نهر كوسينا قانقا:

كثرت حقول الأرز النضر على جانبي الطريق والى منتهى البصر، وهي حقول نضرة، وقد تعددت مناقع المياه التي خلفتها الأمطار، وكثرت الأبقار في الحقول مثلما هي كثيرة في المدينة.

ووصلنا جسراً واسعاً على نهر كبير اسمه (كوسينا قانقا).

ثم مررنا فوق جسر على نهر صغير، سألت السائق عن اسمه

فقال: إنه ليس نهراً، وانما هو قناة من نهر، ولا أهمية لها عندنا.

**حمى الأبواق:**

كل من يأتي إلى الهند يلفت نظره كثرة استعمال السائقين لأبواق السيارات، حتى قد يخيل إليه أنهم يفعلون ذلك حباً في إطلاق الأبواق لسماع أصواتها، وليس من أجل الحاجة إلى ذلك، لأنه يرى أنها تطلق في أحيان كثيرة في مواضع ليست بحاجة إلى إطلاقها، وطالما قلت للسائقين الذين كنت أركب معهم في الهند ألا يطلقوا الأبواق لأن ذلك يزعج السائقين الآخرين، ويفزع الماشين، فكانوا يضحكون من قولي، وربما سخروا منه، ولذلك لا يفيد لومي لهم فيستمرون على ما هم عليه.

وفي هذا الطريق الريفي تكرر ذلك اليوم، فمن يقابل من السيارات كثيراً ما يطلق بوقه.

والسائق الذي يرى أحداً على جانب الطريق يستعمل بوق سيارته تحذيراً لذلك الشخص من اختراق الطريق، وكأنما جسم السيارة وصوت محركها الذي يكون خشناً في العادة لا يكفي لتنبيه الناس إلى وجود السيارة.

والعجيب أن البوق الذي يقلقنا نحن وأمثالنا إذا كنا نسوق سياراتنا وسمعنا خلفنا من السائقين من يطلقه، فإنهم في الهند عكسنا يريدون من السائقين الذين خلفهم أن يستعملوا البوق، فمثلاً في هذا الطريق رأيتهم كتبوا خلف الشاحنات (بلو هورن) أي أطلق البوق، أو على حد بتعبير العامة عندنا (اضرب بوري).

ورأيتهم في أماكن أخرى من الهند يكتبون خلف الشاحنة ( بليز هورن) أي من فضلك استعمل المنبه.

ولا أدري مرجع ذلك في الهند ، أهو لغلبة الضجة على مدنهم، وإذاً ما بال القرى والطرق في الصحاري يحتاج الأمر فيها إلى إطلاق المنبه؟

أم هو شيء في إدراك السائقين يتعلق بعدم حدة السمع عندهم؟ ولكن هذا ينفيه أننا نراهم في كلامهم المعتاد؛ بل في أحوالهم المعتادة يتمتعون بأسماع معتادة.

هذا وقد كثر الحيوان هنا ، فالأبقار معتادة إلا أن كثرتها فوق العادة ، وقطعان الجواميس معها رعاتها ، وهي ترعى وتفضل أن تكون قرب المياه.

وكلها ترعى في أعشاب برية خضر نامية حتى إنها تشبه الحقول المزروعة في أكثر الأحيان، بحيث لا تكاد تفرق بينها وبين الحقول على البعد.

## جمال الطبيعة

مع هذا الجمال في طبيعة الأرض من خضرة شاملة نضرة ، ومياه جارية وواقفة ، فإن الناس هنا على خلاف ذلك، فهم شديدو السمرة ، وملابس أكثر القرويين هي بالخرق المتسخة أشبه منها بالملابس المعتادة ، إلا من يكون من أهل المدينة موجوداً في الريف.

ولباس الرجال الشائع هنا هو فوطة قصيرة ، والنساء لفافة تغطي

الصدر من الأمام، وتنزل إلى ما حول الركبة، ولكن (القبح حارس المرأة) كما يقول المثل العربي القديم.



**جمال الريف في أوريسا**

ومنازل الفلاحين أيضاً منسجمة مع مناظرهم أنفسهم، فالجميل منها قليل، وأغلبها من الأخشاب التي صارت رمادية من تعاقب المؤثرات الجوية، وبعض البيوت الراقية من لبن الإسمنت، ولكن لا بد من أن يكون السقف مسنماً.

والجو الآن ليس بعيداً من ذلك، فالحر بالغ، والرطوبة ثقيلة رغم كون السماء تغيم في بعض الأحيان، وذلك لكون الشمس حارة اذا طلعت، والمطر كان قد نزل كثيفاً فزاد الرطوبة في الجو.

ورأيت أعداداً من الفلاحات يحملن أشياءهن على رؤوسهن مثل الحطب والعلف مع أن أجسامهن تبدو هزيلة.

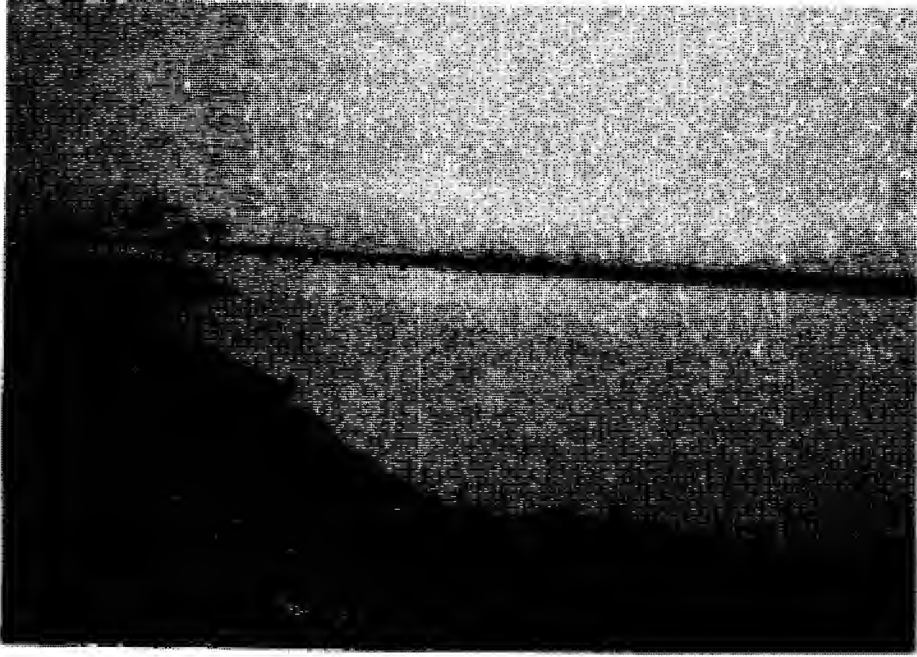
ومررنا بقناة أخرى، وسألت الأخ السائق (ملك سادات الله) عندما رأيت كثرة الأبقار عما يستفيده الهنادكة من الأبقار لأنهم لا يأكلونها؟ فقال: يشربون ألبانها وينتفعون بزبدها، ويوقدون بأرواثها، ويستعملون الثيران منها في الحرث والتنقل، ثم هم يبيعون البقر لمن يدفع ثمنها، وهم لا يذبحونها وإذا ماتت حتف أنفها دفنوها كما يدفن الآدمي إذا مات عند غيرهم، أما هم فإنهم يحرقون موتاهم، ولا يدفنونهم، وربما كانوا بفعلهم هذا يفضلون المصير الأكرم لجسد البقرة.

**مدينة كتك:**

قبل الوصول إليها مررنا فوق جسر عريض طويل على نهر واسع اسمه (جوري) عليه أيضاً جسر حديدي مخصص لمرور القطار عليه، وكان وصولنا إليها بعد أن قطعنا خمسين دقيقة من السير، ولو كانت مثل هذه المسافة في بلادنا لكفت السيارة نصف المدة؛ لأنها لا تبعد عن ضواحي مدينة بونيشر إلا (٣٩) كيلو متراً، وسيارتنا صغيرة جديدة من صنع هندي أسمه (إمبا سادور) كما سبق.

دخلنا نباري ضفة النهر مع شارع يماشي النهر لا يزالون يبنونه، وأكثره لم يتم حتى الآن، وما تم منه فإنه جيد ذو رصيف متقن.

وقفت فيه والتقطت صورة لنهر (جوري) العريض الذي تقع مدينة (كتك) على ضفته الشمالية.



## نهر جوري في أوريسا

وكلما قربنا من المدينة كثرت الدراجات (الركشاوية).

وقد استقبلتنا المدينة بمعابد هندوكية صغيرة، ولكنها متعددة، وسوق كل البائعين فيه قد نشروا بضائعهم على الأرض، ومع ذلك هو مزدحم جداً حتى تعجبت من أن تمر السيارة مع الشارع الذي فيه السوق بهذه السرعة، ولكن السائق أطلق لبوق سيارته العنان، فكان له وقع عظيم في تفريق الناس الذين كانوا يقفون أو يمشون في وسط الشارع.

ثم مررنا بمبنى المحكمة العليا في المدينة، وهو أحمر الطلاء ذو برج عال يشبه القباب المغولية.

**سوق المدينة :**

دخلنا السوق الرئيسة في قلب المدينة وسط زحام بالغ من الدراجات وعربات الركشا والأبقار التي تتبختر فيه.




**مدخل مدينة كتك**

أغلب المنازل في هذا السوق من طابقين وثلاثة مبنية من الإسمنت وبفخار مطلي بطلاء أبيض، ولكنها معتادة المظهر، والحوانيت متلاصقة في السوق أغلبها مرفوع عن الأرض قليلاً بحيث يكون صاحب الحانوت كأنما هو جالس على كرسي بالنسبة لمن يسيرون في السوق.

ودخلنا سوقاً فرعية من هذا السوق المزدحم على جانب الشارع فيه مجاري المياه المستعملة خارجة من البيوت، وهي على هيئة قناتين على جانبي الشارع، وهو مكشوف؛ إلا أن أصحاب البيوت قد وضعوا فوقها شيئاً أمام أبواب بيوتهم مثل حجر كبير، أو خشب قصد منه أن يمر فوقه من يريد دخول البيت.

ومن الأشياء الغريبة أنك ترى أناساًجالسين بجانب هذه المجاري التي هي آسنة بطبعها إلا إذا دفعها ماء كثير من مطر أو ماء جارٍ، وهم يتحدثون فيما بينهم لا يبالون بوجودها.

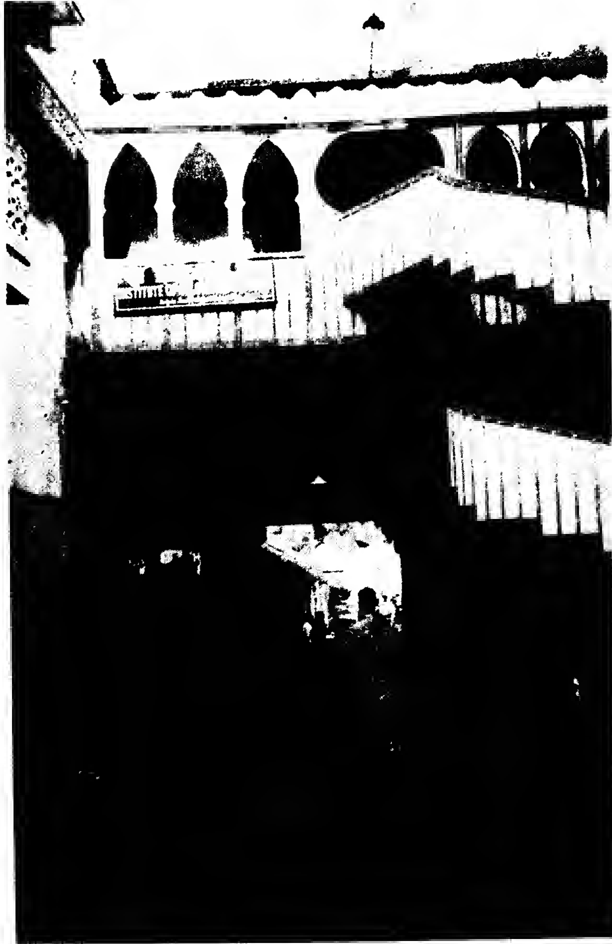
ومع ضيق هذه الشوارع، فإنها لا تخلو من الحيوان كالبقر المعتاد، وضأن لونه بين الحمرة والسواد.



سوق فرعية في كتك

## قلعة السلطان:

دخلناها مع بوابة كبيرة مبنية من الحجارة على هيئة عقود، وهي على الطراز المغولي الذي اعتدنا على رؤيته في الأبنية التي خلفها ملوك المسلمين في الهند.



سقيفة مبنية على الطراز المغولي الإسلامي في كتك

واسمها: (دروازة كلا شاهي) (فدروازة) معناها بوابة، و(كلا) هي كلمة قلعة العربية الفصيحة لم يطرأ عليها تغيير، و(شاهي) سلطاني أو ملكي أخذاً من كلمة (شاه) بمعنى السلطان أو الملك، والياء فيها للنسبة، والشاه الذي نسبت إليه هذه القلعة هو (صالح بك) جاء من البنغال إلى هذه الولاية بعد الحكم المغولي وصار ملكا لأوريسا، وتبين أن هذه البوابة الضخمة تفضي إلى أبنية فخمة عدة خلفها المسلمون في هذه البلاد كان أولها:

**مسجد القلعة:**

أفضى بنا الدخول مع بوابة القلعة السلطانية إلى مسجد كبير رفيع المنار، عظيم الشعار ذي ثلاث قباب مغولية، ومنارتين شامختين، ومرافق حوله تجعله أشبه بالمركز.

وهذا هو المعتاد في بناء المساجد في بلاد الترك وبعض بلاد الهند.

ولم نكن بحاجة إلى السؤال عن اسم المسجد إذ رأيت اسمه مكتوباً عليه بالأوردية بحروف عربية (شاهي قلعة مسجد)، كما كتبوا الشهادة تحت اسمه بالعربية.

وعلى محراب المسجد من الداخل: (أفضل الذكر لا إله إلا الله محمد رسول الله) وتحتها آيات كريمة من سورة (يس).

والمسجد مبني على الطراز المغولي بسخاء ظاهر، ولا شك في أن تسميته بمسجد قلعة السلطان أو الملك يدل على أن الذي أنفق على بنائه هو الملك، وهو جدير بذلك.

وله ملحقات عدة منها غرف وجدنا في أحدها شخصا ذكر أن اسمه (إبراهيم بخش) وأنه مؤذن المسجد، كما رأينا في إحداها جماعة من شبان المسلمين، ولكنني لم أجد في أحد منهم بغيتي، وهي أن يكون من المطلعين على أحوال المسلمين، وفي الوقت نفسه يجيدون الإنكليزية أو العربية.

وعندما خرجت خارج المسجد أبتغي نقطة ألتقط منها صورة عامة للمسجد مر بي أخ مسلم؛ بل شيخ مسلم نظيف الثياب، حسن الهيئة عليه ملابس بيض طويلة، وقد غطى رأسه بطاقية نظيفة، وهذا كله يدل على أنه مسلم، فوجدته أيضاً يتكلم الإنكليزية، وكان راكباً على دراجة هوائية معتادة، فطلبت منه أن يدلنا على أحد من طلبة العلم في هذه المدينة.

فقال: هناك مدرسة فيها عدد من المشايخ وطلبة العلم الذين يعرفون العربية.

وقبل الذهاب إلى المدرسة أرانا ملحقات أخرى للمسجد لم أرها من قبل؛ لأن الأماكن الملحقة به عديدة.

## المدرسة السلطانية:

تقدمنا الشيخ الوقور على دراجته، وتبعناه مع أزقة وشوارع غير جيدة في مدينة (كتك)، وذلك لكون سائق السيارة لم يعرف أن يسير على وصفه لموقع المدرسة.

ثم أشار إلى المدرسة وذهب وتركنا.

سألتهم أولاً عن تسمية المدرسة، فذكروا أنها منسوبة إلى مؤسسها سلطان بن محمد سلطان.

استقبلنا استقبالاً حسنا بل حاراً في المدرسة من المدرسين الذين كلهم أو جلهم يعرف العربية مع أنهم لا يعرفونني.

وقمنا فوراً بالتجول في فصول المدرسة فكان أولها فصل (العالي) فيه ١٧ طالباً فكان الدرس شرح الوقاية في الفقه الحنفي، وذكروا أنهم يدرسون في التوحيد (عقائد النسفي)، وفي الحديث (آثار السنن) و(رياض الصالحين).

وهذه المدرسة تسير على ما تسير عليه بعض مدارس الهند من كونها مدرسة ومكان إقامة للطلاب، ففيها يقيمون ويسكنون ويأكلون ويدرسون، وكل ذلك من تبرعات أهل الخير.

والمدرسة قديمة، ومقرها جيد وإن كان يحتاج إلى ترميم، وفيه رواق متسع، ولكن كل ما في المدرسة يدل على رقة الحال في الوقت الحالي.

وقد سألتهم عما إذا كانوا تسلموا أية مساعدة من خارج الهند، من المملكة العربية السعودية مثلاً، فأجابوا بالنفي، وبأنهم لم يسبق لهم أن كتبوا إلى أية جهة في المملكة يطلبون المساعدة.

ولا شك في أن السبب في ذلك هو بعد مكانهم، وعدم احتكاك أهلها بالجهات الإسلامية التي تتعامل مع المملكة، كما أن المدينة خارج العاصمة، وولاية أوريسا التي تقع فيها تعتبر نائية عن المدن التي يزورها السعوديون مثل بومبي ودلهي وحيد آباد ولكنهو وبنارس.

وطلاب المدرسة قليل لا يتجاوز عددهم الستين.

وفي جلسة في غرفة المدرسين حضرها كل المدرسين، وعددهم كثير بالنسبة إلى عدد الطلاب، أكرموني فقدموا فيها الشاي، وقد شربته وكانت بي إليه حاجة، لأنني شعرت بالعطش، ولم أجد ماء معدنياً أشتريه في المدينة، ولا أثق في نظافة الماء الذي يشربون منه.

ثم كتبت اسم المدرسة من لافتة كتوبة عليها بالأوردية بحروف عربية أو بالعربية:

(المدرسة السلطانية بخشي بازار كتك، ص، ب ٧٥٣٠٠٠، أوريسا).

وقد كرم اثنان من المدرسين في المدرسة، وهما شابان متخرجان من جامعة ديوبند، ويعرفان العربية جيداً، فركبا معنا بالسيارة وصارا يشرحان لي ما أمر به في المدينة.

ومررنا بمسجد لم ندخله في حي اسمه (توتاهات).

**مسجد سوق الأوريين:**

وذلك أن الأخوين المرافقين يريدان أن أرى مسجداً مشهوراً اسمه (مسجد أوريابازار) أي مسجد سوق الأوريين.

والأوريون هم سكان الولاية الأصلاء الذين سميت الولاية باسمهم: (أوريسا).

أول ما رأينا من المسجد اسم مؤسسه، وهو (روشان محمد) بناه

في عام ١٣٠٣هـ، وهو تاجر من تجار المسلمين، وليس بالملك ولا الأمير.

والمسجد الرئيسي أي المصلى الرئيسي واسع مسقوف بسقف جيد، وله ملحقات زيدت فيه بعد بنائه الأول.

واما المنطقة حوله فإنها جيدة ذات منازل حسنة المظهر، ولا يزال المسلمون يكثرون في هذا الحي، وكان قسم من التجارة بأيديهم.

وقد رأيت بعضهم في سوق قريب من هذا، فرأيتهم يتميزون على البعد بنظافة الثياب، والأبدان، وأغلبهم أكثر إشراقاً في الوجوه من غيرهم من الهنادكة.

ثم جاء إمام المسجد، وهو الشيخ (محمد حسين) فأخبرنا أن عدد المصلين في الصلوات الخمس يبلغ في العادة ما بين مائة إلى مائة وعشرة مصلين، وفي صلاة الجمعة في حدود خمسمائة مصلٍ.

وقد رأينا عدداً كبيراً من المسلمين في هذا المسجد ما بين مصلٍ ومستريح ونائم، ولم يكن الوقت يتسع لرؤية مزيد من المساجد في المدينة لكثرتها إذ يبلغ عددها في المدينة كلها ٢٧مسجداً.

**مسجد قدم الرسول:**

واسمه الذي كتب عليه هكذا: ((مسجد قدم رسول)).

قال لنا أحد الشيخين المرافقين: إن في هذه المدينة مسجداً يحسن أن تطلعوا عليه، غير أن أهله من المبتدعين الذين لا يحبوننا نحن الديوبنديين ويكفرونكم أنتم أيها السعوديون؛ إنهم من البريلويين، .فقلت لهم: إنني أحب أن أطلع عليه، فالاطلاع مهم في هذه

الحالة التي ربما تكون هناك فرصة، ولو في المستقبل بتبصير هؤلاء المخرفين المحرفين.

ولكن الشيخين ترددا كثيراً قبل أن يقبلا الذهاب معنا إلى المسجد حذراً من أذى يصيبنا، مع العلم بأنني لا أرتدي الملابس العربية، ولا يعرف من يراني، ومن لم يألف رؤية السعوديين أنني سعودي، ولكن الشيخين المرافقين كانا يرتديان زي طلبة العلم المعروف المشهور في الهند.

أول ما رأيناه من هذا المسجد مدخل على فنائه الخارجي ضخم قد بني بعناية فائقة، خلفه أفنية مكشوفة واسعة فيها حديقة؛ بل حدائق ذات اشجار سامقة، فيها أشجار فارعة القوام من أشجار النارجيل.

وعندما نزلنا من السيارة للدخول أحاط بنا طائفة من النساء والأطفال أكثرهم من المسلمين، وقد وجدناهم جالسين حول المدخل جاؤوا لتحري الصدقة عليهم مع أنهم ليسو في مظهر الفقراء؛ بل هم مثل غيرهم، أو هم أحسن حالاً في مظهر الجسم من بعض المواطنين من غير المسلمين.

وفي اولئك عدد من الأطفال العراة الذين يسيرون بين الناس كيوم ولدتهم أمهاتهم، وأعمارهم فيما بين السابعة والتاسعة تقريباً ودون ذلك.

وعند الدخول من البوابة الخارجية إلى ذلك الفناء الواسع الذي هو أشبه بالحديقة القديمة رأينا قبة شامخة مغولية الطراز في وسط

هذه الحديقة الواسعة تنقاد إليها أرصفة من المدخل ليستعملها الناس وهي أمامهم مثل تاج محل أمام من يدخل من بوابة الحديقة التي تحيط به، وليس معنى ذلك أنها مثله في فخامة البناء أو نوعه، فتاج محل لا يضاهى من هذه الناحية، ولكنها مثله في الموقع من الحديقة.

وهذه القبة تشبه في مظهرها الخارجي القبة التي على القبر الشريف في المدينة المنورة لولا أنها هنا مبنية وحدها من الأرض، وأنها ذات مسحة هندية مغولية، فهي أشبه بقباب المساجد الفاخرة ذات الطراز المغولي في البناء.

دخلنا مع الناس الداخلين ولم يعترض طريقنا أحد، وذلك لكثرة الداخلين والخارجين من رجال ونساء.

وقد كتبوا على مدخل القبة بالفارسية: هذه قدم الرسول.

وخلع الناس أحذيتهم عند دخول القبة، وهي منقوشة بل مزوقة بنقوش ملونة كثيرة من الداخل، وهذه القبة ليس فيها شيء إلا حوض ماء صغير مستدير، وفي وسط هذا الحوض من الماء حجر فيه صورة قدم لرجل حافي القدمين، وذلك كله مرفوع عن الأرض إلى مقدار صدر الرجل.

وفوق الحجر مصباح كهربائي قوي ملسط عليه متدلياً من السقف، وهذا المصباح منقوش بنقوش ملونة خاصة.

وعلى الحجر الذي انطبعت فيه صورة لأثر القدم الحافية الجملة التالية: الذي يريد الشفاعة يشرب الماء فالشفاعة من النبي ﷺ وليس من هذه القدم.

وحول هذا الحجر زهور موضوعة، وقال شخص في المكان ربما كان سادناً لهذا الحجر: على المسلم أن يشرب من هذا الماء ليشفع له الرسول.

ورأيت الناس يشربون من رجال ونساء وأطفال يناولهم ذلك الرجل الماء.

هذا مع العلم بأن الماء لا يدرى مصدره، وربما كان مرسلاً بأنبوب داخلي من ماء مرتفع.

وهناك من الزائرين من رأيتهم يتمسحون بهذا الحجر ثم يمسحون على وجوههم وأجسادهم لتصلها بركته كما يزعمون.

ورأيت نسوة يسجدن على الأرض عند الباب الخارجي للقبة، وذكروا لنا أن القبة تزدحم بالزائرين يوم الخميس من كل أسبوع يشربون من هذا الماء ويتمسحون و بعضهم يمسحون بالقبة.

**من الذي بنى القبة؟**

بناها الملك عالم كير الثاني أحد ملوك المغول.

وذكروا أن الذي قدم بالحجر الذي فيها، ومن أجله بنيت، زعم أن الأثر الذي فيه هو أثر قدم الرسول ﷺ وهو تاجر عربي اسمه محمد هاشم، جاء بهذا الحجر من بلاد العرب، فظل في قرية اسمها (سنقرا) على بعد ٤٠ كيلومتراً من مدينة (كتك) هذه.

ثم بنيت له القبة عام ١١٢٧ هجرية، وجلب إليها فوضع فيها.

والغريب أن الملك الذي بنى القبة على هذه الصخرة لم يسأل نفسه عن صحة ما قيل فيها من أنها أثر قدم الرسول ﷺ، أو أنه سأل نفسه عن ذلك، ولكنه أراد أن يكون له أثر يبقى بعده، ولا يهمه صحة ذلك الحديث أو عدم صحته.

ثم إن هؤلاء القوم الذين يأتون إلى هذه الصخرة يتمسحون بها ويشربون الماء الذي حولها لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث عن صحة الأمر في هذه الصخرة.

والعلماء الذين سكتوا على أمرها فيهم أناس ينتسبون إلى بعض الجامعات المعروفة، لم يبحثوا الأمر في المراجع الموثوق بها عما إذا كان قد صح في الرواية أن الرسول ﷺ، وطأ بقدمه الكريمة حجراً فانطبع ذلك الوطء على الحجر، أم أن ذلك لم يرد، ولم ينقل عن أحد من أهل العلم، ولا في كتاب من كتب الأحاديث والسيرة النبوية.

وحتى إذا نقل ذلك من أحد الكتب، فهل ذلك الحجر هو هذا الحجر بعينه الذي أحضره التاجر منذ قرون؟

واذا ثبت عندهم ثبوتاً مادياً - وهذا من باب الافتراض - فما الدليل على أن الحجر الذي وطأ عليه الرسول ﷺ ينفع ويضر؟ والموضوع موضوع نقل صحيح، أو نص صريح، وليس موضوع عاطفة أو محبة.

إن وجود مثل هذا الحجر، وتعلق قلوب المسلمين به، وزيارتهم له، واعتقاد النفع فيه، هو شاهد حي على انحطاط روح البحث عن الحقيقة عند المسلمين، وعلى استيلاء الأفكار المنحرفة على عقولهم.

ولا شك في أن كبر ذلك وإثمه يقع على عواتق أولئك الذين يدعون أنهم من العلماء، وليس لديهم من العلم إلا ما تقوم به الحجة عليهم عند الله.

وتركنا القبة المبنية على الحجر التي سموها زوراً وبهتاناً قدم الرسول ﷺ، والقدم الشريفة منها براء حسبما عرفناه من النصوص المنقولة عن السلف الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، وقد غمرني الأسف والأسى على حال المسلمين، ورأيت في هذه المظاهر ما يشبه المظاهر الوثنية القديمة التي تقدس الأحجار، وإن كان الأمر في جوهره مختلفاً.

فالحجر نفسه لا ينفع ولا يضر حتى الحجر الأسود الذي هو من شعائر النسك قال فيه الخليفة الراشد عمر بن الخطاب - رضي الله عنه -: ((والله أني لأعلم أنك حجر لا تنفع ولا تضر، ولولا أني رأيت رسول ﷺ قبلك ما قبلتك)).

والرسول ﷺ لم يرو عنه، ولا عن أحد من أصحابه الكرام، ولا عمن تبعوهم بإحسان أنهم قبلوا هذا الحجر الهندي المجلوب من بلاد العرب - إن صح الجلب - فضلاً عن أن يذكروه بفضل أو مزية.

ولكن إخوتنا من أهل الهند من فرط محبتهم لرسول الله ﷺ صار بعض الطامعين والمحتالين يستغلون ذلك منهم، فصار لمسجد الشعرة في مدينة (سرنقر) عاصمة كشمير مقام عظيم عندهم، مع العلم بأنه ثبت أن شعرات من شعرات الرسول ﷺ كانت محفوظة معروفة بعد انتقاله ﷺ إلى الرفيق الأعلى كما هو مذكور في كتب

التاريخ والسير، ولكن من الذي يثبت أن هذه الشعرة الموجودة في كشمير الآن هي إحدى تلك الشعرات.

على أن تعظيم شعر الصالحين موجود أيضا في كشمير لغير شعر الرسول ﷺ فهناك في مدينة (سرنقر) نفسها مسجد عظيم ضخم مبني على شعرة يزعم أنها من شعر عارض الشيخ عبد القادر الجيلاني.

وقد ذكرت هذا الأمر، وفصلت القول فيه في كتاب، ((سياحة في كشمير))، ويمكنك أن تراجعه إن شئت لأنه كتاب مطبوع.

**والبناء على القبور:**

غير بعيد من القبة تلك التي أسموها قبة القدم يوجد بناء مشيد بعناية ظاهرة، وقد أنفقت في تشييده نفقات كثيرة، قال لنا الشخص الذي كان معنا في القبة، وظهر لي أنه أحد سدنة المكان: إن هذا قبر ولي بني عليه هذا البناء اسمه مكتوب عليه: انظروه، فإذا باسم مكتوب على البناء باللغة الأوردية: (رحمت الله عليه، علي حضرت مقبول بهر بورشاه تاريخ وصال ١٢ محرم ١٣٦٩هـ).

والوصال هنا: المراد به الوفاة.

فوفاة صاحب القبر في عام ١٣٦٩هـ حديثة، ولكن الأحدث هو هذا المبنى الفاخر على قبره، فقد كتبوا عليه تاريخ بنائه في عام ١٣٨٥هـ، أي منذ حوالي ثلاث وعشرين سنة، وقد رأينا القبر من خلال الشباك الموجود في المبنى مرفوعاً عن الأرض ومستوراً بستار أخضر، ثم انتقلنا إلى رؤية المسجد المجاور للقبة، وإن كان يفصل بينهما

فاصل واسع من حديقة الفناء المكشوف، فإذا به متوسط السعة، معتاد البناء، يظهر عليه أن بناءه متأخر عن بناء القبة؛ لأنه ليس على الطراز المغولي، ولا على طراز مأثور معروف وإنما هو مثل المساجد التي بنيت قبل خمسين سنة مثلا في عدة أنحاء من الهند كما رأيتها.

وهذا المسجد فيه أقوام كثير منهم من يصلي، ومنهم النائم وفيهم المستريح.

ومع ذلك ذكروا أن الذي بناه هو الملك (عالم قير) الثاني، وهو الذي بنى القبة، وربما كان المسجد جدد بعد البناء الأول، أو كان صغيراً فوسع.

وعندما أردنا ركوب السيارة خارج البوابة لم نستطع إلا بمعونة بعض المارة، وذلك لكثرة الشحاذين والأطفال المتطفلين الذين كانوا يضحكون ويتصايحون بغير أدب.

## المسلمون في كتك:

مر بك الحديث مفرقا عن أحوال المسلمين في هذه المدينة، وبقي أن نوجز هنا ما يتعلق بالمسلمين فيها في الوقت الحاضر.

يبلغ عدد المسلمين في (كتك) هذه ٢٥ ألفاً من مجموع سكان المدينة البالغ (٢٠٠) ألف نسمة، والأكثرية الساحقة من السكان هم من الهنادكة، وقسم منهم من أهل الريف والقرى الذين جاؤوا إلى المدينة للعمل، مع ذلك فإنك لا تلاحظ سوءاً في المدينة، ولا في أهلها زائداً عما في غيرها من المدن الأصيلة في الهند؛ ما عدا المدن العملاقة

مثل بومبي ودلهي ومدراس، فتلك لها سمات أخرى.

واشتهرت ولاية أوريسا هذه بقبائل (أورية) التي لا يزال كثير منها يعيش الآن عيشة بدائية في الأدغال والغابات كما كان أسلافهم يعيشون منذ قرون، وإن كان يقل عددهم بالتحضر والقرب من الحياة الحضرية.

ويلاحظ المرء أفراداً منهم يعرفهم بسمرتهم الشديدة، وبملابسهم البدائية.

ويبلغ عدد المساجد في مدينة كتك (٢٧) مسجداً، وهذا يعني عدداً قليلاً بالنسبة إلى كون المدينة في وقت من الأوقات كانت عاصمة لأريسا، تحكم الولاية منها قبل استقلال الهند تحت حكم ملك مسلم.

وإلا فإن عدد المساجد لا بأس به بالنسبة إلى عدد المسلمين من أهل المدينة.

ويوجد مسلمون في القرى والمدن الصغيرة القريبة من (كتك)، ولكن لم تمكني زيارة هذه المدن والقرى لضيق الوقت.

### استكمال الجولة:

ودعنا الأخوين الكريمين الشيخين: سيد أبو داود وفضل المؤمن، وانطلقنا نستكمل رؤية ما لم نره من (كتك).

فكان الانطباع العام في شوارعها هو الضيق والازدحام بعربات (الركشا) وبالدراجات المعتادة، حتى إن المرور منها بالسيارات مرهق

للأعصاب، فيخيل للمرء أن السائق سوف يدهس بعض الناس بسيارته؛ لأنهم لا يبتعدون عن طريق السيارة إلا بعد جهد جهيد، وبعد أن يلح عليهم ببوق سيارته.

وسلكنا شارع (بادم باري)، ويعتبر الشارع الرئيسي الذي يدخل منه إلى المدينة، ويخرج منها، وهو واسع ذو اتجاهين بينهما رصيف ضيق.

وخرجنا منه إلى خارج المدينة جاعلين النهر العريض الكبير على أيماننا عائدين إلى (بونيشر) عاصمة الولاية، ولكنني لم أستطع مغالبة الفضول في تصوير أجزاء من هذا النهر الذي تقع المدينة على ضفتيه، فالتقطت له صوراً ووقفت أتأمله قليلاً، ثم أمرت السائق أن ينتظر فترة ثم يلحق بي في الطريق من أجل أن أتمشى وأصور ما شئت من الحقول القريبة، ومن الأشياء التي أراها فيه.

فرأيت من الأشياء الملفتة للنظر رجالاً يحملون على رؤوسهم أكداساً من الأرز الحصيد، لا شك في أنهم لا يملكون دابة ولا عربة ينقلونه عليها، وفلاحاً يحرث الأرض على ثورين وقد غاصت رجلاه مع قوائم الثورين في الوحل، وهو يجاهد، وهما يجاهدان في نزعها من هذا الوحل الأسود.

وهو يحرث الأرض ليزرع فيها الأرز الذي ينمو هنا بوفرة، ويحتاج إلى كثرة الماء في الأرض، وهو موجود.

والقعدة الهندية، وهي جلسة خاصة أطلقت عليها من عندي هذه التسمية: (القعدة الهندية) لأنني رأيتها في الهند كلها، من (كيرالا) في

الجنوب إلى (كشمير) في الشمال، وهي أن يجلس الرجل على قدميه رافعاً مقعدته عن الأرض مهما استطاع، كأنه يقعي إقعاء.

ولا شك في أن سبب هذه الجلسة على هذه الهيئة هو كثرة الرطوبة في الأرض، وعدم نظافتها مما يمنع الجلوس جلوس المطمئن الواثق من نظافة الأرض التي يجلس عليها، والمراد بالنظافة هنا عدم وجود ما يلوث الملابس أو يصيب الجسم بالرطوبة.

وكان الجو حاراً رطباً رطوبة ثقيلة تضايق أمثالي من الذين عاشوا في جواء جافة؛ مع أن الساعة الآن تقارب الخامسة عصراً.

**العودة إلى بونيشر:**

عدنا إليها في الساعة السادسة إلا ثلثاً قبل المغرب، وقصدنا منزل الأخ الدكتور محيي الدين علي، وذلك لتوديعه لكون سفري من المدينة قد أزف.

وقد صعب على السيارة الوقوف عند باب البيت بسبب كثرة الأعشاب البرية النامية التي يبلغ ارتفاعها قامة الرجل، ولكثافتها كثافة شديدة.

وذلك أن بيته واقع في ضاحية جديدة معظم بيوتها لم تبن بعد، فكانت الأراضي الخالية من البنيان ملتفة الأعشاب كأنما زرعت زرعاً وتعاهدها أصحابها بالسقي ليل نهار.

وأما الدكتور محيي الدين نفسه فإنه يستعمل دراجة نارية له في دخوله وخروجه وتنقلاته، وهي التي أردفني عليها عندما عرفته أول

مرة لذلك يصل بها إلى البيت دون مشقة من طريق بين الأعشاب ضيق.

ودخلنا بيته الذي يتألف الجزء الأكبر منه من فناء مكشوف (حوش) قد غرس فيه أشجاراً من الفاكهة، منها الموز والباباي ونارجيل لا يزال صغيراً، وفيه خضرات مدركة كالطماطم غير الجيدة يأكل منها.

وأجلسنا الأخ الدكتور محيي الدين وهو يرحب بي في غرفة الجلوس التي ليس على أبوابها نوافذ، وإنما هي ستائر من القماش، وعرفت السبب في ذلك، وهو أن بيته حديث البناء، وأن النفقة قصرت عليه، فنزله وأخذ يعمل على استكماله على مهل.

وفي غرفة الجلوس سرير للنوم، ومقعد مريح طويل أظنه جعل ذلك لضيوفه إلى حين استكمال المنزل، وليس فيها مروحة مع الحر، لذلك أحضر لنا مراوح يدوية من سعف النارجيل شبيهة بالمراوح التي كانت موجودة عندنا في الماضي، وكنا نتخذها من سعف النخيل، ونسميها المهاف - جمع مهفة - لأنها ترسل الهواء هفهافاً أي سريعاً لطيفاً على الوجه عند الترويح بها.

وبيته من الإسمنت المسلح الذي لا يبني به إلا القادرون.

قدم الدكتور لنا البسكويت والكعك اللين (الكيك) وماء للشرب وشاياً، فشربت الشاي بعد أن عصرت عليه الليمون الحامض الذي يوجد هنا بكثرة وبرخص ظاهر؛ بل هو موجود في أكثر أنحاء الهند.

ثم توضأنا وذهبنا مع الدكتور محيي الدين إلى جامع العاصمة،

فأدينا صلاة المغرب فيه جماعة، ويحرص الدكتور محيي الدين على أن يصلي مع الجماعة في هذا المسجد رغم بعده عن منزله.

ولما سألته عن سبب كثافة الأشجار في ضواحي المدينة، وغلبة الخضرة على الأماكن غير المبنية منها، أجاب: بأن هذه العاصمة - يريد عاصمة الولاية - كان مكانها غابة كثيفة، وهذه الأشجار الضخمة التي تراها هي من بقايا تلك الغابة.

وبعد صلاة المغرب قال لي الدكتور محيي الدين: مولانا، يحب أن يراك، وكان (مولانا) قد أمنا لصلاة المغرب، وهو الذي ذهبت إليه في أول الأمر في مكانه بين الطلاب في المدرسة فلم يحفل بي، ولم يقدم إلي أية مساعدة، مع أنني طلبت منه أن يدلني على شخص يعرف العربية أو الإنكليزية، وهو مهتم بأمور المسلمين لأشاهد معه المساجد وغيرها من الأماكن المهمة في المدينة، وكنت أخبرته أنني عربي من مكة المكرمة، قدمت إلى هذه البلاد من أجل رؤية الإخوة المسلمين فيها.

وقد حدثه الدكتور محيي الدين عني، وربما كان رفع من قدري عنده، لذلك طلب أن يراني ثانية، ولم أعدم فائدة من هذا اللقاء إذ كنت بحثت عن تاريخ إنشاء هذا الجامع (مسجد العاصمة)، فلم أعثر عليه، إلى أن أفادنا (مولانا) الشيخ أن المسجد كان صغيراً بني عام ١٩٦٢م، ثم لما كثر المسلمون، وقوي أمرهم أعادوا بناءه كبيراً قوياً على هذه الهيئة التي نراه عليها الآن، وذلك في عام ١٩٨٣م.

وذكروا أن للمسجد حوانيت موقوفة عليه على الشارع الرئيسي

ينفق من ريعها على ما يحتاجه المسجد من ماء وكهرباء ونحوها.

## مغادرة بونيشر:

ودعت الأخوين: الطبيب البيطري الدكتور محيي الدين علي، والسائق الأخ (ملك سادات الله) في المطار، وطلبت منهما بعد أن تسلمت بطاقة الصعود إلى الطائرة أن يعودا إلى المدينة بعد أن دفعت للسائق الودود الأخ (ملك سادات الله) الأجرة التي كان اتفق عليها مع الدكتور محيي الدين، وزدته من عندي زيادة كبيرة لأنني شعرت أنني غبنته، وذلك مقابل بقائه معي طوال اليوم، وسفره إلى خارج المدينة مرتين، وكان الدكتور اتفق معه على ثلثمائة وخمسين روبية لذلك كله، ففرح بالزيادة فرحاً عظيماً.

وكان الناس قد أخذوا يتقاطرون على المطار، فأردت دخول الحمام فيه فلم أستطع لقذارته ورائحة خبيثة تنبعث منه، فصبرت على عدم دخوله على مضض.

## تصوير الجدار:

حان الدخول إلى غرفة المغادرة بعد لبث ممل في قاعة الترحيل، فأدخلونا واحداً واحداً من أجل التفتيش على الأجساد والحقائب للأمن، وكان الضابط المفتش ينفرد بكل واحد في محراب خاص مستور كما يفعل في تفتيش النساء عندنا.

وكان أدخل حقيبتي قبل ذلك في آلة التصوير المعتادة، فقال لي: أفيها مصورة (كاميرا)؟ قلت: نعم. قال: أخرجها، فأخرجتها ظناً مني

أن هناك تفتيشاً آخر بجهاز آخر تضر أشعته بها.

فلما أريته إياها أخذ يقلبها بيده يرفعها ويخفضها كمن يحاول أن يعرف وزنها، ثم أمرني بخشونة أن أصور بها، فسألته ماذا أصور؟ فقال: أي شيء، وكان المكان ضيقاً، وليس فيه ما يستحق التصوير غيره، فقلت له: إذاً أصورك أنت للذكرى. فقال: لا. صور الجدار، وقد صورت الجدار.

وتبين من ذلك أنه يريد بهذه الصورة أن يتأكد من كون المصورة حقيقية، وليست قنبلة على هيئة مصورة.

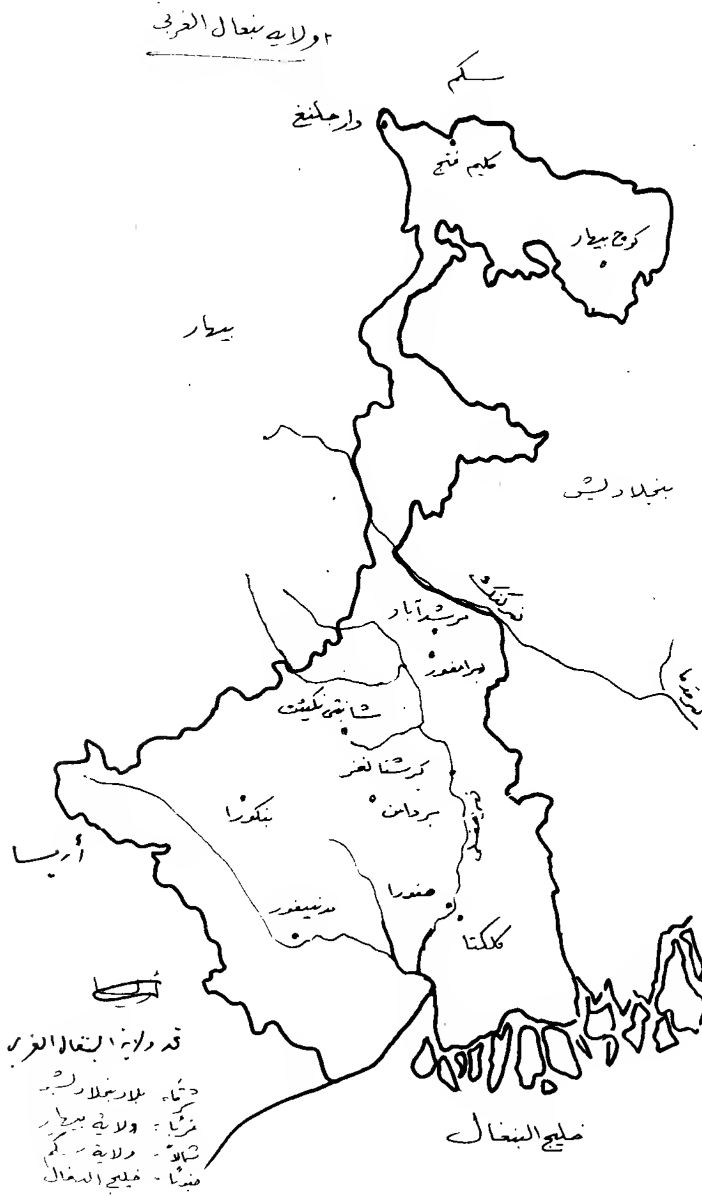
وكان جميع كلامه وإشاراته جافة تتسم بالخشونة وعدم الذوق.

دخلنا غرفة المغادرة، وهي صغيرة وخالية من التكييف ومن المراوح الكهربائية، والجو كان حاراً رطباً، وقد امتلأت بالركاب، وفيهم طائفة من السياح ذوي المظهر الأوربي، فكدنا نختنق من الرطوبة، وكان أن أخذ الناس يتخففون من ملابسهم التي كانت في الأصل خفيفة ينزعونها من أجسامهم، وكانت النساء الأوربيات أسرع من غيرهن إلى ذلك، وأما الهنديات فإنهن لم يفعلن أكثر من الحركة ربما لتبديد الحر، ولم تنزع أية واحدة منهن أي قطعة من لباسها.

وحتى ساحة المطار كانت أنوارها خافتة، وحجتهم في ذلك شح الكهرباء عندهم، وهو أمر يشمل أكثر بلدان الهند، وبخاصة الجنوبية منها.

# ولاية

# البنغال الغربي




**ولاية البنغال الغربي**

### ولاية البنغال الغربي:

تحتل ولاية البنغال الغربي المكانة الثانية في ولايات الهند من ناحية عدد المسلمين.

ومساحتها ٨٨٧٢٦ كيلو متراً مربعاً، وعدد سكانها ٦٧.٩٥٢.٧٣٢ وفق إحصاء عام ١٩٩١م، وتوجد في هذه الولاية ثلاث محافظات، و١٦ مديرية، والكثافة السكانية فيها أكثر من أية ولاية هندية أخرى؛ إذ تسكن فيها ٧٦٦ نسمة في الكيلو متر المربع الواحد، ويسكن ٦٢ نسمة في ولاية البنغال الغربية من كل مائة شخص من سكان الهند.

وفيما يلي عدد المسلمين ونسبتهم بين السكان من سنة ١٩٥١م إلى ١٩٨١م:

| العام | عدد المسلمين | النسبة المئوية |
|---|---|---|
| ١٩٥١م | ٥,١١٨,٢٦٩ | ١٩,٤٦ |
| ١٩٦١م | ٦,٩٨٥,٢٨٧ | ٢٠,٠٠ |
| ١٩٧١م | ٩,٠٦٣,٣٣٨ | ٢٠,٤٦ |
| ١٩٨١م | ١١,٧٤٣,٢٥٩ | ٢١,٥١ |

ويمكن أن يبلغ عدد المسلمين في ولاية بنغال الغربية في سنة ١٩٩٥م إلى ١٥,٢٦٦,٢٣٦ نسمة بزيادة ٣٠٪ عن نسبة ١٩٨١م.

وأكبر عدد من المسلمين يوجد في مديرية (جوبيس برغنة) في ولاية البنغال الغربية، ثم في مديرية (مرشدآباد) في نفس الولاية، فهم

أكثر من ٢٠٠٠٠٠ فيهما.

ونذكر فيما يلي عدد المسلمين ونسبتهم إلى السكان في خمس مديريات مهمة من مديريات ولاية البنغال الغربية، وذلك لسنة ١٩٨١م:

| المديريات | عدد المسلمين في ١٩٨١م | النسبة المئوية للسكان |
|---|---|---|
| مرشد آباد | ٢١٦٩،١٢١ | ٥٨،٦٧ |
| مالدا | ٩١٩،٩١٨ | ٤٥،٤٧ |
| ديناج فور الغربية | ٨٦٠،٧٩٧ | ٣٥،٧٩ |
| بيربهوم | ٦٤٩،٢١٢ | ٣٠،٩٨ |
| جوبيس برغنه | ٢٥٦٣،٧٥١ | ٢٣،٨٧ |

كان المسلمون يشكلون الأغلبية في مديرية (نديا) لولاية البنغال الغربي التي تقع في شرق نهر (هوقلي)، هذا ما يدل عليه إحصاء ١٩٤١م، كان عدد المسلمين آنذاك ٧١٣،٧٧٦ نسمة، ونسبتهم كانت ٢٤،٠٨٪، وتقع مديرية (هور) في غرب نهر (هوقلي)، وعدد مسلميها ٥٩٨،٤٤٨، ونسبتهم للسكان ٢٠،١٧٪، وكما قلنا: إن ولاية البنغال الغربي تحتوي على ١٦ مديرية.

وأقل نسبة من المسلمين توجد في مديرتي (يانكورا) ٥،٦٥٪، و(بوروليا) ٥،٤٥٪، وكانت مديرية (بوروليا) جزءاً من مديرية (مان بهوم) التي تقع في (بيهار) الآن، فنقلت إلى ولاية البنغال الغربية في نوفمبر ١٩٥٦م وقت تنظيم جديد للولايات.

ويوجد المسلمون بنسبة ٣.٦٤ ٪ فقط في مديرية (دارجلنج).

قال السيد عبد الحي الندوي والد السيد أبي الحسن الندوي في كتاب: (الهند في العهد الإسلامي):

## بنكاله:

بفتح الموحدة وسكون النون وكاف فارسية وألف ولام مفتوحة، بلاد متسعة من أرض الهند، يحدها من الشرق سلسلة الجبال، ومن الغرب (بهار) و(أريسة)، ومن الشمال أيضاً سلسلة الجبال، ومن الجنوب البحر الملح، وطولها أربعمائة ميل، وعرضها مائتا ميل، والأنهار المشهورة بها ((كنكا)) ، و((برهم بتر))، وهي إقليم الأرز، والعقاقير، والفانيذ، والموز، والأنبج، وورق التنبول، ومن غرائبه رخص وسعة، ومنافع، ومتاجر. قد جاور البحر، وشقه النهر، وله سهل وزرع. ويزرعون الأرز فيه في السنة ثلاث مرات، إلا أن ماءه رديء، وهواءه رطب، وأكلهم الأرز، ولبسهم الأزر، شتاء خسيس، وصيف بغيض.

قال ابن بطوطة المغربي في كتاب الرحلة: ((إنها بلاد مظلمة يسمونها أهل خراسان (دوزخ بر نعم) أي جهنم ملآى بالنعم. قال: رأيت الأرز يباع في أسواقها خمسة وعشرين رطلاً دهلية بدينار فضي، والدينار الفضي هو ثمانية دراهم، ودرهمهم كدرهم النقرة سواء، والرطل الدهلي عشرون رطلاً مغربية. وسمعتهم يقولون: إن ذلك غلاء عندهم.

وحدثني محمد المصمودي المغربي، وكان من الصالحين،

وسكن هذا البلد قديماً، ومات عندي بدهلي: أنه كانت له زوجة وخادم، فكان يشتري قوت ثلاثتهم في السنة بثمانية دراهم، وإنه كان يشتري الأرز في فترة بحساب ثمانين رطلاً دهلية بثمانية دراهم، فإذا دقه خرج منه خمسون رطلاً صافية، وهي عشرة قناطير، ورأيت البقرة تباع بها للحلب بثلاثة دنانير فضية، وبقرهم الجواميس، ورأيت الدجاج السمان تباع بحساب ثمان بدرهم واحد، وفراخ الحمام تباع خمسة عشر منها بدرهم، ورأيت الكبش السمين يباع بدرهمين، ورأيت ثوب القطن الرقيق الجيد الذي ذرعه ثلاثون ذراعاً يباع بدرهمين، ورأيت الجارية المليحة للفراش تباع بدينار واحد من الذهب، وهو ديناران ونصف دينار من الذهب المغربي)) انتهى.

وأهم حاصلاتها من الحبوب الأرز، وهو من الصادرات المهمة، ويزرع هناك الحنطة، والشعير، والقطن، والنيل، والأفيون، وقصب السكر، والتبغ، وآلات الزراعة وطرقها قديمة وبسيطة جداً، وعندهم حصادان، أحدهما حصاد الأرز وحده، ويعرف بالحصاد الكبير، والآخر حصاد باقي المزروعات، ويُعرف بالحصاد الصغير.

وقال السيد عبد الحي أيضاً:

## ملوك بنكاله، وبهار، وأريسه:

كانت مملكة بنكاله بعد ما فتحها أكبر شاه التيموري لأبنائه، حتى ولي عليها نواب جعفر خان سنة ست عشرة ومائة وألف، ولقبه (عالمكير مرشد قلي خان)، فمصر بلدة كبيرة سماها (مرشدآباد)، وجعلها دار ملكه، ومدته اثنتان وعشرون سنة، مات

سنة ثمان وثلاثين ومائة وألف، ثم ولي بعده ختنه شجاع الدولة، واستقل بالملك، ومدته أربع عشرة سنة، مات سنة اثنتين وخمسين ومائة وألف، ثم ولي ولده علاء الدولة، وخرج عليه وزيره (الله وردي خان)، فخلعه بعد سنة وشهرين، وولي مكانه، واستقل بالملك ست عشرة سنة، مات سنة تسع وستين ومائة وألف، ثم ولي سبطه (سراج الدولة)، وحارب الإنكليز، فانهزم في معركة ((بلاسي)) فقويت سيطرة الإنكليز على الهند من تلك الساعة، فولوا مكانه (جعفر علي خان)، وكان نائباً عنه في ((أريسة))، فاستقل بالملك سنة سبعين ومائة وألف، ثم خلعه الإنكليز وولوا مكانه ختنه (قاسم علي خان)، ثم وقع النزاع بينه وبين الإنكليز، فخلعوه، وولوا مكانه (جعفر علي خان) المعزول، واشترطوا أن يؤديهم خمسة لكوك (نصف مليون) من النقود كل سنة.

ثم ولي ولده (نجم الدولة)، ثم صنوه (سيف الدولة). وفي عهده حصلت للإنكليز سلطة تامة على بلاد بنكاله كلها، فرتبوا له أحداً وأربعين لكاً ومائتين وثمانين ألفاً ومائة وإحدى وثلاثين من النقود الإنكليزية، وبعده ولي صنوه (مبارك الدولة) المتوفى سنة ثلاث وثمانين ومائة وألف، ثم (نظام الملك) المتوفى سنة سبع وثلاثين ومائتين وألف، ثم ولده (أحمد علي خان)، ثم ولده (همايون جاه) المتوفى سنة أربع وخمسين ومائتين وألف، ثم ولده (منصور علي خان)، وكلهم كانت لهم أرزاق ورواتب من جهة الإنكليز، لا سلطة لهم على بلادهم، وكانت رواتبهم تنقص كلما مات أحدهم، وكان (للمنصور) المذكور ستة عشر لكاً (مليون وستمائة ألف)، ولما مات

المنصور قام مقامه (حسين علي خان).

وقد وصل ابن بطوطة - رحمه الله - إلى البنغال، ذكر ذلك في رحلته، إلا أنه ذكر أماكن هي الآن في بنغلادش التي كانت تسمى قبل تقسيم بلاد الهند (البنغال الشرقي)، قال:

((فأقمنا على ظهر البحر ثلاثاً وأربعين ليلة، ثم وصلنا إلى بلاد بَنْجالَةَ، وهي بلاد متسعة كثيرة الأرز، ولم أر في الدنيا أرخص أسعاراً منها، لكنها مظلمة، وأهل خراسان يسمونها: ((دوز خست بور نعمة)) معناه: ((جهنم مَلأى بالنعم)). رأيت الأرز يُباع في أسواقها خمسة وعشرين رطلاً دهلية بدينار فضي، والدينار الفضي هو ثمانية دراهم، ودرهمهم كالدرهم النقرة سواء، والرطل الدهلي عشرون رطلاً مغربية، وسمعتهم يقولون: إن ذلك غلاء عندهم، وحدثني محمد المصمودي المغربي، وكان من الصالحين وسكن هذا البلد قديماً ومات عندي بدهلي، أنه كانت له زوجة وخادم، فكان يشتري قوت ثلثتهم في السنة بثمانية دراهم، وأنه كان يشتري الأرز في قشره بحساب ثمانين رطلاً دهلية بثمانية دراهم، فإذا دقه خرج منه خمسون رطلاً صافية، وهي عشرة قناطير. ورأيت البقرة تُباع بها للحلب بثلاثة دنانير فضة، وبقرهم الجواميس، ورأيت الدجاج السمان تُباع بحساب ثمان بدرهم واحد، وفراخ الحمام يباع خمسة عشر منها بدرهم، ورأيت الكبش السمين يباع بدرهمين، ورطل السكر بأربعة دراهم، وهو رطل دهلي، ورطل الجلاب بثمانية دراهم، ورطل السمن بأربعة دراهم، ورطل السيرج بدرهمين. ورأيت ثوب القطن الرقيق الجيد الذي ذرعه ثلاثون ذراعاً يباع بدينارين. ورأيت الجارية المليحة للفراش تباع

بدينار من الذهب واحد، وهو ديناران ونصف دينار من الذهب المغربي. واشتريت بنحو هذه القيمة جارية تسمى (عاشورة)، وكان لها جمال بارع. واشترى بعض أصحابي غلاماً صغير السن حسناً اسمه (لؤلؤ) بدينارين من الذهب.

وأول مدينة دخلناها من بلاد (بنجالة) مدينة (سُدْكاوان)، وهي مدينة عظيمة على ساحل البحر الأعظم، ويجتمع بها نهر (الكنك) الذي يحج إليه الهنود، ونهر (الجون) ويصبان في البحر. ولهم في النهر مراكب كثيرة يقاتلون بها أهل بلاد للكنوتي.

و(سلطان بنجالة) هو السلطان (فخر الدين) الملقب (بفخره)، سلطان فاضل محب في الغرباء، وخصوصاً الفقراء والمتصوفة. وكانت مملكة هذه البلاد للسلطان (ناصر الدين بن السلطان غياث الدين بلبن)، وهو ولي ولده (معز الدين) الملك بدهلي، فتوجه لقتاله، والتقيا بالنهر، وسمي لقاؤهما لقاء السعدين. وقد ذكرنا ذلك وأنه ترك الملك لولده وعاد إلى بنجالة، فأقام بها إلى أن توفي. وولي ابنه (شمس الدين) إلى أن توفي. فولي ابنه (شهاب الدين) إلى أن غلب عليه أخوه (غياث الدين بهادور بور). فاستنصر (شهاب الدين) بالسلطان (غياث الدين تغلق)، فنصره وأخذ (بهادور بور) أسيراً. ثم أطلقه ابنه (محمد) لما ملك على أن يقاسمه ملكه، فنكث عليه، فقاتله حتى قتله. وولي على هذه البلاد صهراً له، فقتله العسكر. واستولى على ملكها (علي شاه)، وهو إذ ذاك ببلاد اللكنوتي. فلما رأى (فخر الدين) أن الملك قد خرج عن أولاد السلطان (ناصر الدين) وهو مولى لهم، خالف بسدكاوان وبلاد بنجالة واستقل بالملك. واشتدت الفتنة بينه وبين (علي

شاه)، فإذا كانت أيام الشتاء والوحل أغار فخر الدين على بلاد اللكنوتي في البحر، لقوته فيه، وإذا عادت الأيام التي لا مطر فيها أغار علي شاه) على بنجالة في البر لقوته فيه.

وانتهى حب الفقراء بالسلطان (فخر الدين) إلى أن جعل أحدهم نائباً عنه في الملك بسد كاوان، وكان يسمى (شَيداً). وخرج إلى قتال عدو له، فخالف (شيدا) وأراد الاستبداد بالملك، وقتل ولداً للسلطان (فخر الدين) لم يكن له ولد غيره، فعلم بذلك، فكر عائداً إلى حضرته، ففر (شيدا) ومن تبعه إلى مدينة سد كاوان، وهي منيعة، فبعث السلطان بالعساكر إلى حصاره، فخاف أهلها على أنفسهم، فقبضوا على (شيدا) وبعثوه إلى عسكر السلطان، فكتبوا إليه بأمره، فأمرهم أن يبعثوا له رأسه، فبعثوه، وقتل بسببه جماعة كبيرة من الفقراء. ولما دخلت سد كاوان لم أر سلطانها ولا لقيته؛ لأنه مخالف على ملك الهند. فخفت عاقبة ذلك.

## من بونيشر إلى كلكتا:

لم يضعوا على بطاقات الصعود إلى الطائرة أرقاماً للمقاعد، لذلك اعتمد الأمر في الحصول على المقعد المفضل للراكب على سرعته في الوصول إليه قبل غيره.

ولكن المسافرين كانوا بأكثرهم من السياح الغربيين الذين يتكلمون الفرنسية، ومن أهل الهند المثقفين، لذلك لم يتراكضوا إلى المقاعد، وكان من المهم عندي أن أحصل على مقعد بجوار النافذة حيث أستطيع أن أرى ما تحت الطائرة، وأن أكتب إذا أردت الكتابة من دون أن يكون بجواري مما يلي خارج الطائرة أحد، وهذه عادة لي قديمة لا زلت أواظب عليها.

وحصلت على المقعد في مؤخرة الطائرة، إذ فاتني أن أجده في مقدمتها، وأما وسطها فإن جناح الطائرة يمنعني من الإفادة منه إذ يحجب الرؤية.

قامت الطائرة في الثامنة والدقيقة السابعة والثلاثين متأخرة عن موعدها المحدد سبع دقائق، وهو لا يعد تأخراً في عرف شركات الطيران؛ حتى إذا وصل التأخر إلى ربع ساعة، فإنه يعتبر أمراً كالمعتاد لا يعتذر المسؤولون عن الطائرة إلى الركاب عن حصوله.

وهي من طراز بوينغ ٧٣٧ تابعة لشركة (إنديان إير لاين).

وعندما نهضت من المطار اتضح منظر مدينة (بونيشر) في الليل، وهي واسعة يشقها طريق سريع واسع ذو أنوار صفر.

والحقيقة أن منظرها في النهار أجمل منه في الليل، وذلك للخضرة الشديدة، وللشوارع المستقيمة الواسعة في أحيائها الحديثة منها.

وسارعوا إلى تقديم الضيافة والوقت وقت عشاء، وهي شطيرة من الخبز فيها جبن وخضار مقلية بالزيت قد أكثروا فيها من الفلفل الحار، وقطعة من الحلوى، وقد قدموا ذلك في علبة من الورق المقوى.

ومع ذلك كانت المضيفات يقدمن الضيافة وهن عابسات، وقد عرفت من تكرار الركوب في الطائرات الهندية أن المضيفات لا يرين أن الابتسام المصطنع للركاب هو من عملهن كما تفعل المضيفات الغربيات، ومن قلدهن من الشرقيات، لكن خدمتهن جيدة في هذه الطائرة، وهي على وجه العموم متوسطة، وذلك فيما يخص سرعة تقديم الضيافة، وسرعة الحضور للراكب إذا طلب حضور المضيفة من أجل أن تعطيه ماء أو نحوه، وكذلك في رفع آنية الطعام من أمامه.

كما أنهن قل أن يتركن العمل في خدمة الركاب وينصرفن للحديث فيما بينهن، أو فيما بينهن وبين بعض الركاب دون بعض.

وقد وزعن ماء الشرب في الطائرة فلم تطب نفسي بشربه - على عطشي - لسوء ظني بنظافته.

## في مطار كلكتا:

تدنت الطائرة فوق ريف خافت الأنوار، تجاوزته إلى أطراف المدينة ذات الأنوار الساطعة.

وبدت مدينة (كلكتا) أكبر مدن الهند على الإطلاق واسعة ممتدة لا يبلغ النظر إلى مداها من الطائرة لأنها كانت تطير على ارتفاع منخفض، وبالقرب من المطار عادت الأضواء لتكون خافتة.

ثم هبطت في المطار في التاسعة والدقيقة الثانية والأربعين بعد طيران استمر ٤٣ دقيقة، ولم تكن أنوار المطار ساطعة، ولكن المدارج كانت طويلة متسعة.

وأعلنوا أن درجة الحرارة هي (٢٨) درجة مئوية، وهذا يدل على أن المدينة حارة؛ لأننا الآن في أول الليل، فإذا أضيفت الرطوبة إلى هذه الدرجة من الحرارة صارت مضايقة.

وقفت الطائرة في المدرج، فنقلتنا إحدى الحافلات إلى حيث قاعة وصول كتب عليها إنها دولية.

وكان من أهم مميزاته بالنسبة إلى مطار (بونيشر) الذي تركناه أنه فيه سيران متحركان صغيران توضع عليهما أمتعة الركاب الواصلين. مع أن القاعة التي دخلناها حديثة البناء.

وضعت أمتعتي على عربة معتادة تدفع باليد، وسرت أبتغي المخرج، وإذا بطائفة من الجنود يحرسون المخرج من قاعة المطار، وعندما تجاوزتهم، وكنت أظن أنني خرجت من المبنى، تبين أن الأمر ليس كذلك، وإنما هي قاعة أخرى، أو ممر عليه ضابط ذو رتبة كبيرة، ومعه جنود يحرسونه، ويمنعون الذين كانوا يحاولون أن يطلوا برؤوسهم من داخل الباب إذا فتح وكانوا عدداً كبيراً.

وعندما رأيت شدة الحراسة في المطار، ومنع الناس من الدخول

وازدحامهم على المدخل داخلني خوف من أن أقع في أيدي من سيسبب لي الضرر، وبخاصة أنني وحيد، ولا يوجد من يستقبلني، لأنني لم أكتب لأحد بموعد وصولي.

وفتح الضابط باب الخروج، فأسرع إليّ المتطفلون، وهم الحمالون، وأمسك بعربتي منهم حوالي العشرة، واختصموا عليّ، كلهم يريد أن يظفر بدفعها، أو حمل الأمتعة منها حتى يحصل على أجرة الحمل.

كل ذلك وأنا متشبث بعربتي بكل قوتي، فلا أريد أن يتسلمها من لا أعرفه، ولم يتركوها؛ بل واصلوا الاختصام حولها، فنفد صبري، وصحت فيهم صيحة عالية أن اتركوها ففوجئوا بذلك، وكان رجل أمن يقف قريباً منهم فكفهم عني، ودفعت العربة أمامي، ورجل الأمن معي، ولكن المتطفلين واصلوا الاقتراب مني والكلام بأصوات مختلطة؛ بعضهم يقول: تاكسي، تاكسي، وبعضهم يقول: هوتيل، هوتيل، وبعضهم يسأل وسط أصوات أصحابه المتكررة: إلى أين أنت ذاهب؟

فرجوت رجل الأمن أن يكفهم عني، ففعل وانضم إليه رجل أمن آخر.

فقلت لهم: إنني أريد سيارة أجرة معروفة لديكم، فنادوا سائق السيارة التي تقف في أول صف الانتظار، فحمل أمتعتي، ولكن كتلة المتطفلين والمتفرجين واصلت التجمع حولي حتى عندما أغلقت باب السيارة، وبعضهم يتطوع بسؤالي عن الفندق الذي سأذهب إليه ليخبر

السائق، مع أن السائق معي.

## في مدينة كلكتا:

ينبغي أن نذكر أولاً نطق الكلمة كما سمعته من أبناء المدينة لأننا ننطق به على غير ما يلفظونه، فهو بفتح الكاف الأولى، وإسكان اللام، ثم كاف ثانية مفتوحة، فتاء مخففة أي غير مشددة، فألف.

و(وكلكتا) هي أكبر مدن الهند ذات المدن العملاقة، يقولون إن سكانها الآن قد بلغوا ما بين أربعة عشر مليوناً وخمسة عشر مليوناً.

وهي بهذا تكون من المدن العملاقة في العالم، ولا يكبرها إلا مدينة (المكسيك) التي بلغ عدد سكانها في الوقت الحاضر سبعة عشر مليوناً، تليها مدينة (سان باولو) في البرازيل، وبلغ عدد سكانها خمسة عشر مليوناً.

ومع أن (كلكتا) هي أكبر مدن الهند الكبيرة على الإطلاق، فإنها أحدثها بناء على الإطلاق، فقد أنشأها الإنكليز لتكون مركز الإدارة لهم في الهند، واستمرت كذلك مقراً للحاكم العام الإنكليزي إلى أن زار الملك جورج الخامس الهند في عام ١٣٣٠هـ-١٩١١م، فأمر بأن ينقل مقر حكومة الهند من (كلكتا) إلى (دلهي).

قلت لسائق سيارة الأجرة، ولشخص ركب معه، وكأنه مرافق له: إنني أريد الذهاب إلى فندق (قرين استيرن هوتيل)، وكنت أخذت اسمه من جاري في مقعد الطائرة، فهو في قلب المدينة التجاري، وهو

جيد حسب قوله.

سارت السيارة، وسائقها يتحدث أحياناً معي ليعرف من أنا، ولماذا جئت إلى (كلكتا)، وأحياناً يتحدث باللغة البنغالية مع الشخص الآخر الذي في السيارة.

وغرقنا في شوارع وأزقة خُيِّل إليَّ أنها لا نهاية لها، وأن سائق الأجرة مهما أخذ مني من أجر فإنه دون ما يستحقه.

ومن الملفت للنظر أن المرور سيئ الآن بمعنى أنه لا يخلو من زحام، ولذلك يواصل السائق إطلاق بوق سيارته رغم كون الساعة تجاوزت العاشرة ليلاً.

وأكثر الشوارع التي سلكتها السيارة هي ضيقة وقديمة، أو يبدو عليها القدم وعدم العناية بتجديدها أو طلائها.

نزلنا في فندق (قرين ستيرن هوتيل)، وهو كبير جداً وواسع، ولكنه قديم الطراز، وقديم الأثاث.

لم تطلب الموظفة التي كانت في الاستقبال مني أن أدفع الأجرة مقدمة كما تفعل أكثر الفنادق في (دلهي)، وإنما اكتفت بأنها أمرت أحد الحراس أن يدلني على الطريق إلى الغرفة منتظرة أحد الحمالين الذي حمل حقيبتي وبقية أمتعتي، فدخلنا إلى مصعد أوصلنا إلى طابق ثانٍ في الفندق، ثم اخترقنا ممرات طويلة داخل الفندق عليها حوانيت تجارية أكثرها يبيع التحف والهدايا التذكارية والمصنوعات المحلية.

وفي الغرفة سألت أحد الحمالين عما إذا كان من المسلمين،

وقلت له: إنني أريد أن أعرف القبلة من أجل صلاة الفجر، وكنت صليت العشاء جمعاً مع المغرب في (بونيشر)، ففرح الرجل، وقال: أنا مسلم. ثم نادى اثنين من العاملين في الطابق الذي أنا فيه وقال: هذان أيضاً من المسلمين.

وظهر أن أحدهم يعرف مسجد أهل الحديث الذي يوجد فيه أخونا الشيخ (عين الباري)، وهو الذي سيكون مرافقي في (كلكتا)، فأوصيته أن يذهب إليه غداً، ويخبره بقدومي ويطلب منه أن يوافيني في الفندق في الصباح الباكر.

يوم الأربعاء ١٤٠٨/١/٢٣هـ - ١٦/ ٩/ ١٩٨٧م

## صباح كلكتا:

أزحت ستار النافذة في الصباح الباكر، ثم ما لبثت أن أرخيتها بسرعة لأن نظري وقع على أبنية عالية (عمارات) كلها قديمة الطراز سيئة المظهر بعضها يحتاج إلى طلاء، وبعضها صار رمادي اللون، وبعضها صارت به بقع من تساقط طلائها، وبعضها ركبها غبار مختلط بدخان.

وأكثرها ينبعث من مداخنها أدخنة غليظة ما تلبث أن تختلط فتركد فوق هذه العمائر التي قد يصل بعضها إلى عشرة طوابق.

وقد أسهم في المنظر السيئ وجود شيء يشبه الضباب في الجو مما جعل المنطقة تبدو ملوثة الهواء، كدرة المنظر، وجعلني أعجب للفرق بين جو الغرفة المعتادة، وبين الجو خارجها في هذا الصباح الباكر.

## البحث عن ... عين الباري:

ربما تكون استغربت هذا الاسم عندما مررت به قبل بضعة أسطر، وقد تكون تصورت أن في الأمر تحريفاً، وأن الصحيح هو (عبد الباري) بعين فباء فدال، ولكنني أؤكد لك أن الأمر ليس فيه تحريف، وإنما هو (عين الباري) على لفظ عين الإنسان التي يبصر بها، وقد سألته بعد التعرف عليه عن هذا الاسم الغريب الذي ظهر لي لأول وهلة أن المراد به هو (عناية الباري)، وقلت له: إذا كان هذا هو المقصود فلم لم تغير اسمك إلى هذا؟

فأجاب وهو شيخ من العلماء، فهو أكبر شخص في جمعية أهل الحديث في البنغال الغربي: إنني كنت أشك في صحة هذا الاسم حتى قرأت الآية الكريمة ﴿ولتصنع على عيني﴾، فلم يعد عندي شك في جوازه، ثم إنه الاسم الذي سماني به أبواي.

أغفيت مع طلوع الشمس لدقائق، وكنت في حلم لذيذ لحاجتي للنوم عندما طرق عليّ أحدهم باب الغرفة طرقاً عنيفاً أفزعني، فوجدته الأخ المسلم الذي أوصيته البارحة بأن يحاول الاتصال بالشيخ (عين الباري)، قال: لقد صليت الفجر في مسجد أهل الحديث، فلم أر الشيخ، وقيل لي: إن بيته بعيد من هنا، ولا أعرف مكانه.

وكان الأخ يلبس ملابس المسلمين المعتادة غير التي يلبسها عندما كان في عمله أمس، فقال لي: إن نوبة عملي في الليل، ولكنني جئت في هذا الصباح المبكر من أجل إبلاغك أنني لم أجد الشيخ (عين الباري)، وإلا فإنني سوف أعود إلى بيتي لأنام.

فنفحته ما تيسر ثم انصرف، وقد طار عني النعاس، وكان معي رقم الهاتف لمكتب الشيخ عين الباري، فحاولت الاتصال به فلم يتيسر، وكررت ذلك عدة مرات فلم أسمع إجابة.

كما كان معي عنوان مسجد أهل الحديث مكتوباً بالعربية التي لا يحسن القوم قراءتها لأن أهل (كلكتا) وغيرهم من البنغاليين لا يحسنون الأوردية ذات الحروف العربية.

نزلت إلى الشارع فوجدت عند باب الفندق جماعة من سائقي سيارات أجرة تجمهروا عليَّ، كل يعرض سيارته، ولم أستطع أن أوجه كلامي لواحد منهم لأن أصواتهم قد اختلطت في أذني، فسكت حتى هدؤوا، ثم أخبرتهم أنني أريد مسجد أهل الحديث في شارع كذا فمن هو أرخصكم سعراً؟

فبدؤوا بخمسين روبية، ثم أخذوا بالتنازل حتى قبل أحدهم خمس عشرة روبية، ولم يكن معي أحد، ولكن الإنكليزية هنا معروفة وخاصة بين المتعلمين.

قلت للسائق وهو ينطلق بسيارته: لماذا لم أر عربة ركشاوية بمحرك هنا ويسمونها (موتور ركشا)؟

فأجاب: إنه ممنوع عليها دخول هذه الشوارع الجيدة، إنها لا يدخلها إلا سيارات الأجرة، والواقع أن الشارع الذي عليه الفندق هو واسع جيد، ولكن العناية بأرصفته والأبنية التي عليه ليست على ما يرام، بل إن نظافته دون ذلك.

سلكت السيارة شوارع سيئة بعد شارع الفندق الواسع،

وشارعين بجانبه، وهي تعج بالحركة من الأناسي والدراجات والسيارات في ضجة بالغة، وقد فتحت المتاجر، وكل الشوارع التي مررنا بها هي ذات حوانيت لأنها في أسواق البيع والشراء.

**العربات التي يجرها الرجال:**

أول ما يلاحظه زائر هذه المدينة ويثير استغرابه هو وجود الرجال الذين يجرون العربات بأنفسهم؛ سواء أكانت عربات نقل الأمتعة والأحمال الثقيلة، أم عربات ركوب الأفراد، وهي هنا الدراجات المعتادة قد جعلوا لها عجلتين اثنتين: واحدة من اليمين، وأخرى من اليسار، وليست كعجلتي العربة المعتادة واحدة تكون خلف الأخرى محاذية لها وغير ملاصقة.



العربات التي يجرها الرجال في كلكتا

ولهذه العربات أو الدراجات مقابض من الخشب يمسك بها صاحبها ويجر بها من يركب في دراجته بأجرة زهيدة، ويظل يسحب العربة وسط زحام السيارات والأناسي، والسيارات تلح عليه بأبواقها، وهو يحاول أن يتفادى ذلك قدر استطاعته.

والمشكل في الأمر إذا وصل إلى مكان مرتفع والأماكن المرتفعة أو المنخفضة قليلة في (كلكتا) لأنها مقامة على أرض مستوية.

وساحب الدراجة - بالسين - الذي هو صاحبها - بالصاد - غالباً ما يكون حافي القدمين، نصف عارٍ لأنه يلبس فوطة قصيرة فوقها قميص مفتوح الصدر قصير الأكمام، وأحياناً لا يكون فوقها شيء.

ثم وصل سائق السيارة بسيارته إلى أسواق لا بأس بها من حيث السعة، ولكن مشكلتها نقص النظافة، والزحام الكثيف.

ومع الزحام الشديد من المشاة والمركبات فإن بعض أرصفة الشوارع تملأ بالباعة الذين ينشرون بضائعهم على الأرض، وبعضهم يكون أمام الحوانيت، وربما يكون تابعاً لها، ولكنها على أية حال تسهم في زيادة الزحام وصعوبة المرور؛ لأن الذين يمشون على الرصيف ينزلون عنه إلى وسط الشارع، فيختلطون بمن فيه، وتأتي السيارات وعربات الركشا تحاول تنبيههم إلى وجودها، وتطلق أبواقها، فتزيد الوضع سوءاً.

وقد ظهر أن السائق لا يعرف المكان، وإنما يسأل بنفسه، فكان يوقف سيارته يسأل ثم يعود فيسير، وذهب بي إلى مسجد تبين

أنه ليس (مسجد أهل الحديث) المطلوب، وقرأت عليه بالأوردية لافتة تقول: (يتيم قرباني) أي التبرع للأيتام.



**سوق مزدحم في كلكتا**

ولكنه لم يتأفف، ولم يطلب زيادة أجرة، وتبين أنه مسلم اسمه (محمدوين).

كما وقف عند دكان فيه لحم لا بد أن يكون صاحبه مسلماً، لأن الهنادكة الذين هم الأكثرية لا يأكلون اللحم، ولا يبيعونه، وقد قام صاحب المحل من محله يسلم عليَّ يعرفني بنفسه بأنه (عبد الله وكو)، وجاء آخر اسمه (حسين وكو) فوصفا للسائق جامع أهل

الحديث، ولم يعرفا شيئاً عن الشيخ (عين الباري).

استأنف السائق السير وسط الزحام، ومن الغريب أننا مررنا بشارع فيه قضبان عربات (الترمواي) في الأرض، فعجبت كيف يسير هنا مع فرط الزحام، حتى إن بعض عربات الحمل كان يجرها شخص من الأمام ويدفعها من الخلف زميل له يساعده على جرها.

ومع هذا الزحام من الأناسي والعربات فإن دخان الحافلات الكبيرة كان يملأ الجو حتي خشيت أن أختنق من شدته، ولم أر الناس يبالون به، وربما كان للعادة أو عدم الأمل في الخلاص منه دخل في عدم إظهار المبالاة به.

وزاد الأمر سوءاً أن الجو كان حاراً رطباً إذ الشمس كانت ساطعة في هذا الصباح.

**مسجد أهل الحديث:**

غامت السماء بسرعة، ثم بدأ المطر يتساقط قوياً فلجأ السائق إلى شارع اسمه (شارع مظفر أحمد شريف)، وقال: هذا الشارع كله للمسلمين، ولعله يريد أنهم يكثرون فيه.

وكان موقف السيارة بجانب حانوت أخ مسلم اسمه (محمد جعفر) لاحظت أن على عضده تميمة - وهي التعويذة - قد شدها عليه، وحانوته بقالة، وبجانبه عدد من المسلمين فيهم دكان جزار يبيع لحم بقر رغم كون أكثرية الناس هنا من الهنادكة، ولكن ولاية البنغال الغربي هذه مثل ولاية (كيرالا) لا تمنع ذبح البقر ولا بيع لحمها، وقيل لي: إنه ربما كان سبب ذلك أن الولايتين تحكمان من

قبل عناصر يسارية غير متدينة، وإن كانت في أصلها هندوكية.



**مدخل مسجد أهل الحديث في كلكتا**

وقف المطر بسرعة مثلما كان نزل بسرعة، وذهبنا إلى شارع ضيق لنجد مسجد أهل الحديث.

كان الوقت ضحى في حدود العاشرة أو قبلها بقليل، ومع ذلك وجدت المسجد مزدحماً بخلق عظيم، وكأنما هو عالم آخر، وفي هؤلاء جماعة كثيرة يتوضؤون في محلات الوضوء فيه، وطائفة منهم يغتسلون أمام الناس، وقد ارتدوا الفوط على أوساطهم، وأكثر أهل البنغال يستعملون هذه الفوط.

وطائفة منهم يغسلون ثيابهم تحت أنابيب للمياه ملحقة بالمسجد.

وطائفة من الناس قد ناموا في المسجد، وطائفة أخرى أكثرهم من طلبة العلم تحلقوا حول شيخ يلقي عليهم درساً.

وعندما دخلت المسجد، وانصرف السائق الذي زدته في الأجر ما أرضاه، تحلق عليَّ القوم الذين في المسجد حتى خشيت من الزكام، أو من الأمراض التي تنشأ عن الزحام.

وكنت أسأل أحد الإخوة الذين تبين أنهم يعرفون العربية، واسمه: (رفيق الإسلام بن ممتاز الدين)، وهو طالب في القسم العالي من مدرسة عربية، ولكن الجمهور الموجود، وكلهم من المسلمين، كان يريد أن يعرف من أنا، وماذا أريد أن أعمل، وبعضهم، فيما ظهر لي، ليس لديهم عمل، ويفرحون بأنهم وجدوا ما ينفقون فيه الوقت، ولو كان شيئاً تافهاً مثل قدوم شخص غريب إلى المسجد.

غير أن الأمر زاد أهمية عندما سألوني عن بلدي، فأخبرتهم أنني من مكة المكرمة، فكانوا يتابعون كل حركاتي وسكناتي؛ لا بل وكلماتي، وبعضهم يبلغها لبعض.

وكان هدفي من الحضور لمسجد أهل الحديث هذا هو رؤية الشيخ (عين الباري العالياوي) غير أنهم ذكروا أنه لم يأت، وأنه ربما يأتي بعد قليل.

فانتظرت فترة قال لي أحدهم بعد ذلك: إنه ربما كان في المدرسة العالية؛ لأنه أستاذ فيها، وهذا اليوم في المدرسة من أيام الامتحان، فقد يكون فيها.

## في الكلية العالية:

مشيت مع الأخ (رفيق الإسلام بن ممتاز الدين) الذي يعرف العربية - كما قدمت - إلى المدرسة العالية على أقدامنا لأنها غير بعيدة، وكان رفض أن نركب (ركشا) لقربها.

ومشى خلفنا جيش من الفضوليين.

وصلنا المدرسة العالية، فدخلنا مع بوابة لها خارجية عالية فخمة تفضي إلى حديقة واسعة فيها المدخل الرئيسي لمبنى المدرسة.

وكان على المدخل اسم المدرسة (كلكتا مدرسة كولج) أي مدرسة (كلكتا) العالية، وهذا هو اسمها العربي كما كتبوه في أوراقهم، ولذلك كان بعض المتخرجين فيها ينسبون أنفسهم بها على طريقة أهل الهند في تقديم الانتساب إلى المدرسة التي تخرج فيها طالب العلم على انتسابه إلى اسم أسرته أو بلده فيقولون (العالياوي) هكذا، مع أنهم لو ينسبون إلى الأصل وهو العلو لقالوا: (العلوي)، ولكنهم ربما تركوا ذلك لئلا يشتبه بالنسبة إلى العلويين من بني هاشم.

وذلك مثل الشيخ (عين الباري) الذي نبحث عنه، فقد أخبرني باسمه أنه (عين الباري العالياوي)، وقد كتب ذلك في كتاب له مطبوع، ونسب نفسه إلى هذه المدرسة لأنه قد تخرج فيها.

قابلت رجلاً إدارياً ذكر أن اسمه (شيخ عبد المنان) ولم يزدني في تعريف اسمه على ذلك، وقال: هكذا اسمي (عبد المنان) بدون زيادة، وكان مشغولاً بالامتحان في المدرسة، فأخبرته بأنني أبحث عن الشيخ (عين الباري) فقال لي: لا بد من يقابله أن يمر الكلية.

فتقدمني صاعداً مع درج عريض قوي البنيان مثل سائر أبنية المدرسة، فاستقبلنا مدير المدرسة أو عميدها كما يسمونه في بعض الأحيان حسبما سمعته منهم، وسمعتهم أيضاً يسمونها أحياناً بالكلية، وأحياناً بالمدرسة.

استقبلنا المدير الشيخ ( محمد شهيد الله) عميد المدرسة العالية في (كلكتا) والمحاضر في القسم العربي والفارسي بجامعة (كلكتا) حسبما ذكر لي عن وظيفته.



**المؤلف مع مدير الكلية العالية (الشيخ محمد شهيد الله) في مكتبه**

وهو رجل ذكي مليء بالحيوية والنشاط، وقال لي وهو يطلب الشاي ويحضر معه البسكويت: إن الشيخ (عين الباري) سيأتي لأن

عمله في الامتحانات لا يبدأ من أول النهار، ثم قال: إننا جميعاً مشغولون بالامتحانات كما ترى.

### أول مدرسة عربية في شرق الهند:

ثم أخذ يتحدث عن المدرسة، فذكر أنها أول مدرسة عربية أنشئت في شرق الهند وأنها أسست في عام ١٧٨٠م، وذكر أن حكومة البنغال الغربي، وهي حكومة غير مسلمة بطبيعة الحال، هي التي تنفق عليها مع أنها مدرسة عربية إسلامية خالصة، وذلك بخلاف المدارس والجامعات المماثلة لها في الهند التي تنفق عليها جمعيات إسلامية، أو جمعيات خاصة بها.

وسألته بهذه المناسبة، وكان حضر معنا بعض المدرسين عن عدد المسلمين في (كلكتا) في الوقت الحاضر؟ فقال: إنهم الآن ٢٥ ٪ وفي ولاية البنغال الغربي كلها نسبتهم هي ١٥ ٪.

قال: وقبل تقسيم القارة الهندية إلى الهند وباكستان كانت نسبة المسلمين في (كلكتا) ٤٠ ٪، وفي كل ولاية البنغال الغربي ٣٧ ٪.

قال: وقد احتفلنا قبل فترة بمرور مائتي سنة على إنشاء هذه الكلية، وأصدرنا كتاباً عن المدرسة بهذه المناسبة بعدة لغات منها العربية، ثم أهداني الكتاب، فنقلت منه ما يلي، وتبسطت في النقل لأنه مهم، ولأن المعلومات عن هذه المدرسة وعن الحالة الثقافية للمسلمين البنغاليين قليلة.

قال الكتاب أو النشرة عن المدرسة:

المدرسة العالية كلكتا:

Calcutta Madrasah College

المدرسة العالية بكلكتا من أقدم المعاهد العلمية في ربوع شبه القارة الهندية، فإنه لم يكن هناك في الهند أي معهد تعليمي ملموس، ولم تؤسس عندئذ كلية أو جامعة ما - فامتد العصر إلى أن أسست المدرسة العالية سنة ١٧٨٠م في عهد اللورد وارن هستغلس - وكانت المدرسة من يوم تأسيسها سميت بالمدرسة العالية الكلكتية بالعربية، ومدرسة عالية كلكتة في الأردية، و Mahommedan College, Calcutta في الإنكليزية- فكانت المدرسة العالية أول كلية حكومية في طول الهند -.

وفي عام ١٨٢١م اشترك طلاب هذه المدرسة في الامتحان المنعقد لأول مرة في القاعة البلدية (Town Hall)، وكان ذلك الامتحان أساساً رئيسياً للامتحانات الخالفة في الهند، وفي سنة ١٨٥٠م حدد منصب العميد للمدرسة العالية، فانتخب الدكتور اى - اسبرنجر (Dr. A. Springere) عميداً لها - وافتتح في المدرسة قسم ممتاز المحدثين سنة ١٩٠٩م في عهد سار إيدوارد دينسين راس، وكانت درجة ممتاز المحدثين في تلك الأيام تسمى بفخر المحدثين - وبعد أعوام افتتح درجة ممتاز الفقهاء سنة ١٩٣٦م في عهد مولانا محمد موسى، وفي الأيام الراهنة افتتح قسم ثالث مثالي باسم ممتاز الأدباء سنة ١٩٨٣م في عهد مولانا محمد شهيد الله-.

ولما يجدر بالذكر أن درجة ممتاز الأدباء لهذه المدرسة معادلة لدرجة .M.A بجامعة (كلكتا) في قسم الآداب العربية ودرجة ممتاز المحدثين معادلة لدرجة .M.A في قسم الكلام، إلا أن جامعة (كلكتا) تعتني بامتحان الدرجات الثلاث في ثمان مواد - أرقامها ٨٠٠، والمدرسة العالية تقوم بامتحان لهذه الدرجات في عشر مواد - أرقامها ١٠٠٠-.

ودرجة الممتاز تحتوي على ثلاثة أقسام:

(١) قسم الحديث (ممتاز المحدثين).

(٢) قسم الفقه (ممتاز الفقهاء).

(٣) قسم الأدب (ممتاز الأدباء).

أربع مواد من كل قسم عامة في الامتحان النهائي.

وتفاصيل المنهج الدراسي لكل قسم من أقسام الممتاز كما تأتي.

وهذه نماذج لأسئلة الامتحان التي وجدتها بين يدي الطلاب يوم أخذتها ممن فرغوا منها:

**امتحان ممتاز المحدثين وممتاز الفقهاء ١٩٨٧م**

**صحيح البخاري - القسم الأول**

**الوقت = أربع ساعات**

**الأرقام - ١٠٠**

**أجب عن خمسة بالتزام واحد منها باللغة العربية والأرقام سواء**

١- بسنده عن عبيد الله بن عبد الله أن عبد الله بن عباس (رضـ) قال: أخبرني أبو سفيان بن حرب (رضـ) أن هرقل قال له: سألتك هل يزيدون أم ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك هل يرتد أحدهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ فزعمت أن لا. وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، لا يسخطه أحد.

اشرح الحديث شرحاً مفصلاً مع بيان ما يستفاد منه، وبيّن متى لقي هرقل أبا سفيان، وكيف احتج البخاري بقول هرقل، وهو ممن لا حجة في قولهم؟

٢- بسنده عن أنس (رضـ) قال: قدم أناس من عكل فاجتووا المدينة، فأمر لهم النبي ﷺ بلقاح، وأن يشربوا من أبوالها وألبانها، فانطلقوا، فلما صحوا قتلوا راعي النبي ﷺ واستاقوا النعم... الحديث.

لخص القصة بتمامها، واذكر متى وقعت، وما يستفاد منها في صدد التداوي بالحرام، وكم قولاً في بول مأكول اللحم؟

٣- بسنده عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله (رضـ) صلى النبي ﷺ، قال إبراهيم: لا أدري زاد أو نقص، فلما سلم قيل له: يا

رسول الله أحدث في الصلاة شيء؟ قال: وما ذاك؟ قالوا: صليت كذا وكذا. فثنى رجليه، واستقبل القبلة، وسجد سجدتين ثم سلم... الحديث.

اشرح الحديث، ثم فصل ما يستنبط منه مع ترجيح الراجح من مذاهب الفقهاء مدللاً، وهل كان السجود المذكور في الحديث لأجل الزيادة أم للنقصان؟ أجب على ضوء بقية طرق الحديث.

٣- بسنده عن عبد الله بن عمر (رضـ) أن رسول الله ﷺ دخل الكعبة، وأسامة بن زيد، وبلال، وعثمان بن طلحة الحجبي، فأغلقها عليه، ومكث فيها، فسألت بلالاً حين خرج: ما صنع النبي ﷺ؟ قال: جعل عموداً عن يساره، وعموداً عن يمينه، وثلاثة أعمدة وراءه، وكان البيت يومئذ على ستة أعمدة، ثم صلى.

اشرح الحديث حتى يتوضح حكم الصلاة في داخل الكعبة، ومتى وقع دخول الكعبة هذا، ومن هو عثمان بن طلحة الحجبي، وما هو سبب وجوده مع النبي ﷺ عند دخول البيت، وإذا كان البيت على ستة أعمدة فلماذا ورد ذكر خمسة أعمدة فقط؟ أجب مفصلاً ومدللاً.

٥- بسنده عن سعيد (رضـ) قال: قال رسول الله ﷺ: أبردوا بالظهر فإن شدة الحر من فيح [جهنم]، (ثم ورد بعد يسير) وقال جابر (رضـ) كان النبي ﷺ يصلي بالهاجرة.

هذا يعارض ما تقدم، فكيف التقصي، وكم مذهباً في الباب، وما هو الراجح؟ أجب مدللاً مفصلاً.

٦- بسنده عن جابر بن سمرة (رضـ) قال: شكا أهل الكوفة

سعداً إلى عمر فعزله، واستعمل عليهم عماراً، فشكوا حتى ذكروا أنه لا يحسن يصلي - الحديث.

اشرح القصة بطولها، وبين ما لسعد وعمار - رضي الله عنهما - من مناقب جليلة، وهل يصح قولهم: (إنه لا يحسن يصلي) في الواقع؟ إن قلت: لا، فكيف عزله عمر - رضي الله عنه - واستعمل عماراً (رضـ)؟ أجب مدللاً.

٧- باب الزكاة على الأقارب، وقال النبي :ﷺ له أجران: القرابة والصدقة. حدثنا عبد الله بن يوسف (بسنده إلى أنس رضـ) كان أبو طلحة أكثر الأنصار بالمدينة مالاً من نخل ( إلى أن ورد في الحديث) فقال: يا رسول الله ، إن الله تبارك وتعالى يقول: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ وإن أحب أموالي إلي بيرحى، وإ،ها صدقة... فضعها يا رسول الله حيث أراك الله. قال: فقال رسول الله ﷺ: بخ ذلك مال رابح، ذلك مال رابح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين. فقال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله. فقسمها أبو طلحة في أقاربه وبني عمه.

اشرح الحديث وأوضح المناسبة بينه وبين ترجمة الباب مع توضيح الزكاة المفروضة، والزكاة المذكورة هنا في الترجمة، وكم رواية في (بيرحى)، و(بخ)، و(رابح) لغة وضبطاً عند المحدثين؟

٨- بسنده عن عبد الله بن عمر (رضـ) أن رسول الله ﷺ ذكر رمضان فقال: لا تصوموا حتى تروا الهلال، ولا تفطروا حتى تروه، فإن غم عليكم فاقدروا له...

اشرح الحديث شرحاً وافياً بالمرام، مع بيان مذهب الجمهور في الباب، وهل يجوز أن يفسر قوله: (فاقدروا له) بضبط حساب التقويم الذي يتأتى على قواعد الفلكيين والمنجمين قديماً وحديثاً؟ أجب مدللاً.

٩- علق على أي ثلاثة من الأحاديث والآثار الوجيزة التالية تعليقات موضحة لما يتعلق بها من الأحكام والفوائد:

(ألف) عن عائشة (رضـ) ذكر عندها ما يقطع الصلاة: الكلب والحمار والمرأة، فقال: شبهتمونا بالحمر والكلاب إلخ.

(ب) عن أبي هريرة (رضـ) قال: أوصاني خليلي ﷺ بثلاث لا أدعهن حتى أموت: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، وصلاة الضحى، ونوم على وتر.

(ج) عن أسماء بنت أبي بكر (رضـ) أنها جاءت النبي ﷺ فقال: لا توعي فيوعي الله عليك ارضخي ما استطعت.

(د) قال إسماعيل بن أمية: قلت للزهري: إن عطاء يقول: تجزئه المكتوبة من ركعتي الطواف. فقال: السنة أفضل، لم يطف النبي ﷺ سبوعاً قط إلا صلى ركعتين.

(هـ) عن ابن مسعود (رضـ) قال: من اشترى محفلة فردها فليرد معها صاعاً من تمر، ونهى النبي ﷺ أن تلقى البيوع.

(و) في حديث الإفك: فقالت لي أمي: قومي إلى رسول الله ﷺ، فقلت: لا والله لا أقوم إليه ولا أحمد إلا الله.

**وهذا سؤال في الأدب:**



الطلبة أثناء الاختبار في الكلية العالية

(ه)

**منهج ممتاز الأدباء**

**السنة الأولى**

**المادة: الأدب العربي:**

(١) الأدب الجاهلي – أربع معلقات:

معلقة عمرو بن كلثوم، وعنترة بن شداد، وحارث بن حلزة، والنابغة الذبياني. ١٠٠

(٢) الأدب الإسلامي إلى نهاية الدور الأموي:

النظم :

(ألف) ديوان حسان بن ثابت: حرف الهمزة والباء تماماً (طبع مصر). ٢٥

(ب) ديوان الفرزدق: حرف الدال تماماً، وحرف الراء: ثلاث قصائد الأولى. ٢٥

النثر: .

العقد الفريد: كتاب اللؤلؤة في السلطان من صفحة ٦- ٣٦ (طبع مصر). ٥٠

**النحو والبلاغة:**

(١) المفصل للزمخشري (الفصل الأول). ٥٠

(٢) مفتاح العلوم للسكاكي (قسم المعاني مع مقدمة المصنف). ٥٠

**الترجمة والإنشاء:**

(على المواد المتعلقة بالأدب العربي والثقافة الإسلامية). ٥٠ + ٥٠

**تاريخ الأدب:**

تاريخ الأدب العربي (الدور الجاهلي والإسلامي إلى نهاية الدور الأموي). ١٠٠

**الحديث:**

الجامع للترمذي تماماً. ٢٠٠

**علوم القرآن والحديث:**

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (من أول الكتاب إلى نهاية النوع التاسع، والنوع الثاني والعشرون إلى نهاية الفصل الأول في كيفية [نزول] القرآن، والنوع الثاني والأربعون تماما). ٥٠

(٢) نخبة الفكر للحافظ ابن حجر العسقلاني ٥٠

**التاريخ:**

تاريخ الإسلام: (من الدور الجاهلي إلى نهاية الدور الأموي) لشاه معين ندوي. ٢٠٠

## (٦)

## السنة الثانية

### المادة:

### الأدب العربي: الأدب العربي العباسي:

النظم:

(ألف) ديوان أبي تمام همزياته فقط. ٢٥

(ب) ديوان المتنبي قافية اللام والميم تماما. ٢٥

النثر:

(ألف): مقامات أبي الفضل بديع الزمان الهمذاني، عشرون مقامة أولاً. ٥٠

(ب) الأدب العربي الحديث:

النظم:

نهج البردة، ويبكي والدته، ويرثي أباه، وسعد باشا زغلول (من الشوقيات). ٥٠

النثر:

حياة محمد لمحمد حسين هيكل (من اول الكتاب إلى نهاية فتح مكة). ٥٠

**النحو والبلاغة:**

(ألف) المفصل للزمخشري (النصف الثاني). ٥٠

(ب) مفتاح العلوم للسكاكي (قسم البيان والبديع). ٥٠

**الترجمة والإنشاء:** (على المواد المتعلقة بالأدب العربي والثقافة الإسلامية). ٥٠+٥٠

**تاريخ الأدب :**

تاريخ الأدب العربي (من الدور العباسي إل نهاية العصر الحديث). ١٠٠

**الحديث:**

الجامع الصحيح للبخاري تماماً. ٢٠٠

**علوم القرآن والحديث:**

(ألف) إعجاز القرآن للباقلاني تماماً. ٥٠

(ب) مقدمة ابن الصلاح تماماً. ٥٠

**التاريخ:**

تاريخ الإسلام (المراجعة إلى ما سبق، وتاريخ الدولة العباسية، والدولة الأموية في الأندلس، والدولة الفاطمية في مصر) لشاه معين الدين ندوي. ٢٠٠

**وهذه أسئلة التفسير:**

## امتحان ممتاز المحدثين ١٩٨٧م

## تفسير الكشاف

## الوقت: أربع ساعات

## الأرقام - ١٠٠

أجب عن خمس بالتزام الاثنين على الأقل باللغة العربية، والأرقام سواء:

١- ﴿ألم ۝ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ۝ نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل ۝ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ۝﴾

(أ) فسر الآيات الكريمة، ثم أجب عما يأتي:

كم قراءة في: ﴿ألم ۝ الله﴾؟ أجب مفصلاً مع تلخيص البحث المتعلق بها.

(ب) قال تعالى: ((نزل))، و((أنزل)) و((الإنجيل)) ؟؟

بين على نمط صاحب الكشاف.

(ج) ما المراد بالفرقان، وما الفرق بين الفرقان والقرآن؟ بين مفصلاً

٢- ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير ۝ تولج الليل في النهار وتولج النهار في الليل وتخرج الحي من الميت وتخرج الميت من الحي وترزق من تشاء بغير حساب ۝﴾

فسر الآيات الكريمة ثم اجب على الأسئلة:

(أ) اذكر شأن نزول الآية المذكورة.

(ب) ما هو سبب ذكر الخير دون الشر في قوله تعالى: ((بيدك الخير))؟ .

(ج) ما هوسبب ذكر الليل والنهار في المعاقبة بينهما؟ بين مفصلاً.

٣- ﴿إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم ۝ وإن منهم لفريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون ۝﴾

- ما شأن نزول الآيتين المذكورتين؟ أجب مع توضيح قوله تعالى ﴿ولا ينظر إليهم﴾ ثم بين منهم المشار إليهم بقوله تعالى ﴿لفريقاً﴾

٣-﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب ۝ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ۝﴾

-فسر الآيتين المذكورتين بالتفصيل ثم أجب عن الأسئلة الآتية:

(ألف) إلى أي معنى تشير هذه الآية: ﴿إن في خلق السموات والأرض﴾ إلخ"؟

بين على نمط صاحب الكشاف.

(ب) ماهي كيفية اختلاف الليل و النهار؟

(ج) اذكر المسألة التي تشير إليها هذه الآية: ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ﴾ إلخ"؟

ثم بين آراء الفقهاء فيها مفصلاً ومجملاً.

٥- ﴿ فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له إخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً ۝ ﴾

- فسر الآية الكريمة مع ذكر السياق والسباق على فهم صاحب الكشاف، ثم اذكر كيفية تقسيم الميراث بين الورثة في المسألتين الآتيتين:

(ألف) رجل مات وترك ابناً وبنتين وأباً وأماً.

(ب) امرأة ماتت وتركت زوجاً وبنتاً وأختاً لأب وأم، وأختاً لأب.

٦- ﴿ واللذان يأتيانها منكم فآذوهما فإن تابا وأصلحا فأعرضوا عنهما إن الله كان تواباً رحيماً ۝ إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليماً حكيماً ۝ ﴾

- فسر الآيتين المذكورتين ثم اشرح القراءة في ﴿ اللذان ﴾، وهل القبول والغفران واجب على الله تعالى أم لا؟ وما معنى قوله تعالى: ﴿ من قريب ﴾، وما هي فائدة قوله تعالى: ﴿ فأولئك يتوب الله عليهم ﴾ بعد قوله تعالى: ﴿إنما التوبة على الله ﴾؟

وضح كما درست في الكشاف.

٧- ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ۝﴾.

- فسر الآية الكريمة حق التفسير، ثم بين كيفية تعذيب مكان الجلود العاصية جلوداً لم تعص، وهل يدوم التعذيب للكفار وعصاة المؤمنين أم لا؟ أجب على منوال صاحب الكشاف.

٨- اكتب نبذة مختصرة من حياة الزمخشري، وأهمية كتابه الكشاف.

وهذه الأسئلة كما نرى قوية؛ بل صعبة تحتاج إلى اطلاع واسع، وفهم عميق، ولكن الطلاب يجيبون عليها بكفاءة وفهم؛ لأن أساتذتهم قد نذروا أنفسهم، وأوقفوا أوقاتهم على دراسة هذه العلوم العربية الإسلامية، لا يشغلهم عن ذلك شاغل من دنيا، ولا يعوقهم عائق من أعمال تافهة. فجزاهم الله خيراً وأثابهم.

## جولة في المدرسة العالية:

صحبني مدير الكلية الأستاذ (محمد شهيد الله) في جولة على قاعات الدروس، وعلى بقية أقسام المدرسة، وكانت معظم الفصول في الامتحان، ومع ذلك دخلناها وقدمني إلى المدرسين المراقبين، وكلهم شيخ وقور من أهل الهند الذين نعرفهم، ويمتازون بالأسماء الرنانة والحقائق المتواضعة. بمعنى أن طبيعتهم التواضع، وليس بمعنى أن مستواهم العلمي متواضع، فالواقع أن المقررات الدراسية هي عالية

صعبة، ومع ذلك رأيت الطلبة قد هضموها، واطلعت على إجابات بعضهم في الامتحان.

والطلبة أنفسهم هم شبان ورجال ذوو مظهر إسلامي جيد.

فمن المدرسين الذين قدمهم إلينا المدير عندما دخلنا عليهم الفصول الشيخ (أبو سفيان بن أبو الحسن) والشيخ (وارث علي)، والشيخ (سيد شاه ظلال مرشد)، والأستاذ (منظور عالم).

وشخص عالم كنت قد قرأت له بعض البحوث والمقالات، ولم أذكر أنني اجتمعت به وهو الشيخ (أبو معصوم الكريم).

## وجاء عين الباري:

جاء (عين الباري... العالياوي) بعد طول انتظار، وكانت قد تأكدت بيني وبين مدير المدرسة الأخ (محمد شهيد الله) صحبة، فأخبرت (عين الباري) بما أراه، وهو أن يصحبني إلى كل ما أريد الذهاب إليه في (كلكتا)، فرحب بذلك إلا أنه قال: إن الأمر يلزم أن يأذن لي المدير فأنا تخلفت في الحضور اليوم.

وقد وافق المدير بعد توقف قليل على الإذن له فودعته شاكراً.

أول ما قال لي (عين الباري): إن هذه المنطقة التي تقع فيها المدرسة هي في وسط مدينة (كلكتا) وإنها تسمى (حاجي محمد محسن سكوير) أي ميدان الحاج محمد محسن.

### ساحة كلكتا:

ركبت مع الأخ الشيخ (عين الباري.العالياوي) على عربة ركشاوية بمحرك، ووجدت فيه بغيتي، فهو يتكلم العربية جيداً، وهو من أهل هذه المدينة، وفوق ذلك هو رجل صبور يتحمل سماع أسئلتي، ولا يتأفف من فضولي.

وغرقنا في الزحام الشديد، وزاد ذلك الزحام عندما وصلنا إلى ساحة واسعة اسمها (قور لماس كلكتا) بمعنى ساحة (كلكتا) باللغة البنغالية، وتقع وسط مدينة (كلكتا) الفاخر، أو الذي كان فاخراً في الماضي قبل أن تحمل المدينة فوق طاقتها من السكان.

ففي هذه الساحة شهدت أسوأ حالة مرور أذكرها في حياتي مع أنه ليس فيها حوادث مرور أصلاً.

فقد أحاطت بنا حافلات نقل الركاب الضخمة من كل جانب، وهي تنفث الأدخنة الخانقة من أنابيبها السفلى، ولم يتعودوا أن يرفعوا أنابيب الدخان المحروق (العادم) إلى أعلى السيارات الكبيرة كما نفعل نحن وغيرنا، وإنما تركوها على حالها.

وهي كثيرة مزدحمة، ونحن راكبون في عربة ركشارية قريبة من الأرض، وتلك الحافلات تزمجر محركاتها ويخيل إليك أنها تتوعد السيارات الصغيرة والعربات، وحتى المشاة الذين كانوا يندسون بينها، لأنها تقف مضطرة بسبب كثافة المرور، أو بسبب الإشارة الضوئية، فيسارعون إلى انتهاز الفرصة واختراق هذا الطوق الضخم من السيارات المدخنة.

ومن المزعج أن المرور توقف في وسط الساحة التي ليس فيها إشارة للمرور، وإنما هي دائرة تدور السيارات حولها، فانزعج الناس وصارت السيارات تطلق أبواقها تستعجل السيارات الواقفة، والسيارات الواقفة لا تستطيع أن تتحرك بسبب اعتراض سيارات أخرى، وإنما كل ما تفعله أن تطلق أبواقها أيضاً، والدخان يشتد وينعقد في الجو، ونحن نعتبر كالجالسين على الأرض بين هذه الحافلات الكبيرة، وذلك لقرب عربة الركشا من الأرض بالنسبة إلى علو الحافلات.، وذلك إلى جانب الحر، وغلبة الرطوبة في الجو.

ومن الطريف المزعج ان بعض أصحاب السيارات والعربات الركشاوية أخذوا ينادون بأصواتهم لأن أبواق السيارات عندما كثرت صارت لا تلفت السمع، فكانوا يصيحون للذين أمامهم، وهؤلاء يصيحون أيضاً، فزاد ذلك الأمر سوءاً وإرهاقاً للأعصاب.

والغريب أنني أصبت بكرب شديد لا من أجل نفسي فقط، وأنما خيل اليَّ أن هذا الزحام والتشابك بين السيارات لا بد من أن يسفر عن ضحايا من ضحايا المرور، أو من الإساءة إلى بعض الناس، فكان هذا مصدر انزعاجي.

وهو أمر لم يشاركني فيه الشيخ (عين الباري) الذي يركب معي في العربة، ولا سائق العربه نفسه، بل إنه يضحك، وهو يرى هذا المنظر المفزع من مناظر تعقد المرور.

وكان ضباط من شرطة المرور موجودين في المكان الا أن المعضلة كانت أكبر من جهودهم، ومع ذلك فإن طوفان السيارات

والعربات الذي كان راكداً وجد له متنفساً فتحرك ثم سار.

ومررنا بساحة أخرى جيدة، ولكنها أصغر من التي قبلها عليها الإذاعة وملعب رياضي وحديقة معتنى بها، وبقربها مقر رئيس وزراء ولاية غرب البنغال، هذه التي عاصمتها (كلكتا).

## شارع جانوتي جوك:

مررنا به عمداً ليريني إياه الأخ الشيخ (عين الباري) وهو يقول: إن هذا الشارع تجاري وأكثر الحوانيت التي فيه هي للمسلمين.

وواصلنا السير فوصلنا إلى مقر بلدية مدينة (كلكتا)، وهو أحمر الطلاء مؤلف من عدة طبقات، عليه عقود بطلاء أبيض كالأهلة، وصار بذلك مكانا مميزاً في النظر.

وبمقياس الأمم المتقدمة في الإدارة وبذل الخدمات للمواطنين، فان بلدية (كلكتا) تعتبر فاشلة بسبب تدني خدماتها، والإهمال السائد في كثير من مرافق المدينة، وبخاصة أرصفة الشوارع التي كانت لها أرصفة، وجوانب الشوارع التي كانت ولا تزال بدون أرصفة، وعدم النظافة في أكثر أنحاء المدينة.

وكل الأمر محكوم بمقاييس هندية محلية، بل بنغالية محلية، فالشعب لا يقدم من المال والنظام والطاعة ما تقدمه الشعوب الغربية، ولذلك يقنع بما تقدمه له البلدية راضياً أوكارهاً مثلما تقنع هي بما يقدمه لها ولو على مضض.

وعلى الأرصفة تحت العقود التي تتقدم بعض الأبنية، وتوفر لها

الظل والحماية من المطر، يوجد طوائف من السائلين المستجدين (الشحاذين) قد افترشوا الأرض وصاروا يحملقون في المارة يرجون أن يضعوا في أيديهم شيئاً ولو قليلاً من المال.

وبعضهم تراهم نائمين لأنهم كانوا قد تعبوا من الانتظار، أو طال عليهم الأمر فحان نومهم.

وبقرب هؤلاء وبعيداً عنهم أيضاً بقع من البصاق الأحمر الذي يرصع الأرصفة وأراضي الشوارع في (كلكتا)، وهو ناشئ عن بصق الريق الأحمر الذي يفعله من يمضغ التنبول، ويتفل ما يتجمع في فمه من ريق، لأن بلعه مضر بالصحة، لأن فيه أشياء مضرة كالجير والتبغ إضافة إلى أوراق التنبول التي تلف بها هذه المواد كلها وتوضع في الفم تمضغ معها.

## الشارع الكبير:

مررنا بشارع مهم اسمه (قراند ستريت) بمعنى الشارع الكبير رأيت فيه حانوتاً قد كتب عليه صاحبه هذه الآية بخط عربي بارز: ﴿هذا من فضل ربي﴾.

فوقفت عنده وسألت صاحبه عن اسمه فقال: (عبد الرشيد). وقال: في هذا الشارع حوالي ٥٥٪ من الحوانيت للمسلمين.

وفي تعليق للشيخ (عين الباري) على ما سبق من المناظر في الشوارع قال: أهل (كلكتا) كل شيء بطيء ومزدحم..

وكان هذا أمراً واقعاً حتى في الشوارع غير الرئيسية، فالزحام

هو السائد من زحام الأناسي والدواب التي تستعمل لجر العربات وعربات الركشا والدراجات.

**ومظاهر سياسية:**

ومع وجود هذه الأمور التي قد تشغل الإنسان عن التفكير في أشياء أخرى غير تلافيها، فقد قابلتنا مظاهرة حاشدة في شارع بالغ زحامه حتى إنني كنت حريصاً على عدم إضاعة الشيخ (عين الباري) عن عيني، وكنا نذهب يميناً وشمالاً نلتمس فرجة نستطيع النفاذ منها بسرعة.



**المؤلف في أحد الفصول في الكلية العالية مع عميد الكلية**

وهذه المظاهرة يقوم بها أناس إذا رأيتهم خيل إليك أنهم من العمال، أو من الريفيين الذين لا يفهمون شيئاً في السياسة؛ بل لا يلقون لها بالاً لأنهم ليسوا في مظهر المتعلمين، ولا في مظاهر الأغنياء والمثقفين.

وأما هدف المظاهرة فإنها إظهار السخط على حزب المؤتمر الحاكم في الهند، وقد رفعوا لافتات عدة أكثرها من الخرق مكتوباً عليها باللغة البنغاليه، عبارات عديدة منها: يعيش الائتلاف، نريد التغيير أيها الحكومة.

وذكر لي أنهم من المزارعين الذين يحتجون على سياسة الحكومة المركزية، وقد مرت هذه المظاهرة بسلام.

**مسجد تيبو:**

وهو السلطان (تيبو) سلطان جنوب الهند المشهور بالنمر، وقد قتل في معركة مع الإنكليز بعد عدة معارك كان قد انتصر فيها عليهم، وذكرت شيئاً من الحديث له في كتاب: ((جنوب الهند)) من هذه السلسلة من كتب الرحلات عن الهند، وذلك عند الكلام على مدينة (ميسور) في ولاية (كرناتك) الجنوبية.

ونسب هذا المسجد إليه لأنه هو الذي بناه، وكتب عليه تاريخ بنائه باللغة الفارسية عام ١٢٥٨هـ.

وهو مسجد كبير ومشهور، يقصده الناس للصلاة والعبادة وللراحة أيضاً، فقد رأيته مليئاً بالنائمين في هذه الساعة من القيلولة، وذلك لكونه فيه مراوح كهربائية، وكونه بارداً بالنسبة إلى غيره،

وهذا في جزء منه أحدث عهداً من المسجد القديم.

وفي المصلى القديم قبة شاهقة وزجاج ملون جميل، ونقوش مبالغ فيها.

وله عدة منارات معتادة، ولكن واحدة منفردة بكونها مربعة الشكل، أي على شكل المنارات الموجودة في مساجد الأندلس والمغرب العربي، ويسمونها هناك الصومعة، وذلك أنها مربعة الشكل، وليست مستديرة، وقد صحبنا إمام المسجد في جولة عليه، وأرانا مسكنه ملحقاً بالمسجد ملاصقاً له، وذكر أن فيه مدرسة.

أما هؤلاء القوم النائمون في المسجد، فذكر أن ذلك لكونه في السوق، وبعضهم يجيئون من أماكن بعيدة عن السوق، ويصعب عليهم الذهاب إلى بيوتهم للقيلولة ثم العودة إلى السوق، لذلك يقضون القيلولة في نوم في المسجد.

قال: وأما في الليل فإنه يغلق محافظة على فرشه وأثاثه، ولئلايتخذ تكية تمتلئ بمن لاهدف لهم إلا النوم فيه.

### مناظر منغصة:

كنا وصلنا إلى هذا الجامع نسير على أقدامنا في السوق المزدحم من أجل مشاهدة الناس على طبيعتهم، كما أننا عندما فرغنا من زيارته خرجنا أيضاً نسير على الرصيف، وذلك كله في وسط المدينة التجاري.

ويضايق السائر في أسواق هذه المدينة المزدحمة أمور أخرى غير

الزحام، منها الحر والرطوبة، وهوأمر يكون في أمكنة أخرى من العالم، وبخاصة في بلادنا التي لا يستنكر منها ذلك مثل مدينة جدة.

ولكن الشيء الذي يستنكر هنا هو البصاق الأحمر الذي يرقش الأرصفة والشوارع، والذي سببه مضغ التنبول، وهناك بصاق أيضاً كثير ملقى في الشوارع مرده إلى عدم نقاء الهواء، وإلى عدم سلامة الصدور، وإلى عادة قبيحة وهو عادة البصاق في الشوارع وإلقاء ما في الصدور على الأرض، وبخاصة على الأرصفة.



**سوق تجاري في كلكتا**

فكان السائر منا على هذه الأرصفة إذا نظر إلى أرض الرصيف وما هو بقربه من أرض الشارع رأى هذه المناظر المؤذية، فان رفع رأسه

تفادياً لها لم يأمن أن يعثر قدمه في حفرة، أو حتى يقع في مجرى صغير من مجاري المياه المستعملة التي رأينا عدداً منها ينزل من المساكن فوق الحوانيت، أو يخرج من تحتها على هيئة أنبوب أو ميزاب، وينساب في أرض الشارع حتى يغيب في قناة المجاري الموجودة فيه.

ومن الغريب أنهم قد ألفوا هذه الأمور حتى لا تجدهم يتأففون منها.

وأما أشكال الناس، فإنهم جنس هندي مختلف عن الأجناس الأخرى، وله ملامح مميزة إضافة إلى تميزه باللغة، والطباع؛ غير أنك تراه داخلاً في الدائرة الهندية العامة، أو قل: ترى عليه الطابع الهندي الواضح مثلماً ترى ذلك الطابع على الأقوام الذين ينتمون إلى الجنس الصيني، وإن كانت هناك فروق بينهم في مقدار الدخول في الدائرة الصينية، أو في مدى البعد عن مركز تلك الدائرة الصينية.

وإذا نظر الغريب القادم من البلدان العربية إلى النساء اللاتي يسرن في الشوارع، والنساء في الهند قد تعودن على الخروج من البيت والعمل في الشارع، فإنه يراهن من المستورات؛ بمعنى أنهن لسن ممن رزقن بقسط وافر من الجمال، مع أن الحسن والقبح هما من الأمور النسبية التي تختلف مقاييسها من شعب إلى آخر، ولكن هذا هو الانطباع السائد.

وهن هنا كما في أكثر أنحاء الهند يخرجن إلى جميع الأمكنة التي يخرج إليها الرجال، ولكنهن لا يتبرجن، بل ربما كن أكثر محافظة في ظاهر أمرهن من نساء أهل جنوب الهند ووسطها والكلام

هنا على النساء على وجه العموم، وأكثرهن كما هو معروف من الهندوكيات.

وأما ما وراء المظاهر التي ترى في الشارع، فإنني لم أسمع عنه شيئاً، ومرافقي ليس من الذين يعرفون خبايا هذه الأمور.

**المتحف الهندي:**

استأجرنا عربة (ركشاوية) وذهبنا إلى شارع نهرو (نهرو رود) حيث يقع هذا المتحف المشهور، وقد ألفت الزحام والإزعاج الناتج عنه فيما يظهر.

وعندما وصلنا باب المتحف رأيت الشارع مزدحماً بالناس حتى كأنهم في مظاهرة لكثرتهم، وحتى عند شباك التذاكر في المتحف كان الزحام بالغاً، ولكن صديقنا الشيخ (عين الباري) وقف في صف طويل حتى حصل على تذكرتين الواحدة منهما بروبيتين.

واسم المتحف (انديان ميزيوم).

أول ما رأيت عند مدخله تماثيل عديدة ضخمة من الحجارة أحضرت من معابد عديدة في الهند، وأكثرها من عهد الملك (أشوكا) الذي مضى عليه قرابة ألفي سنة.

بعض تلك التماثيل لأسود - جمع أسد - وبعضها لغيرها.

ويلاحظ أن الديانة الهندوكية هي ديانة وثنية، ولا تزال كذلك، ومن عادة الديانات الوثنية أن تخلف تماثيل ومنحوتات من الحجارة، وبخاصة أن الآلهه التي كان يعبدها الهنادكة ويعظمونها

هي كثيرة متعددة، مما يجعل لكل إله أو مجموعة من الآلهة المزعومين تماثيل ورسوماً خاصة بها.

**مجموعات النقود:**

أول مارأيناه من غرف المتحف غرف خاصة بالنقود والعملات الهندية من عصور قديمة تتدرج في القدم حتى قرب العصر الحديث، وهي مجموعة نادرة مهمة تستحق أن يزار هذا المتحف من أجلها لو لم يكن فيه إلا هي.

فمثلاً فيها نقود من قبل ميلاد المسيح عليه السلام، من ٢٠٠سنة إلى ٤٠٠سنة، وأكثر هذه النقود مجلوبة من مصر.

وبعدها نقود من اليونان قبيل الميلاد، وهي أشبه بالأنواط والأوسمة فهي كبيرة بعضها عليه صور امرأة عارية، وبعضها قد جمعوا فيه صور المرأة والرجل.

وهناك نقود بعدها رتبوها حسب القرون: الثاني والخامس بعد الميلاد، إلى أن وصلوا إلى القرن السادس عشر والسابع عشر.

وكان المرء يخرج من غرفة من غرف النقود هذه إلى غرفة أخرى، فيجد نقوداً أخرى ومعروضات أخرى من مسكوكات الذهب أو الفضة.

ومن النقود الذهبية القديمة مجموعة يرجع تاريخها إلى ماقبل ميلاد المسيح بقليل ذكروا أن منها نقداً ذهبياً صادراً من ولاية كجرات في الهند، كذا قالوا.

ونقود أخرى من جنوب الهند ما بين نهاية القرن السادس الميلادي إلى القرن التاسع عشر.

ومن الأشياء النافعة في هذه الغرف أن بعض النقود الصغيرة، وذات الرسوم المهمة قد صوروها ووضعوا فوقها زجاجات مكبرة؛ بحيث يستطيع المتفرج أن يرى الكتابة أو الرسم الذي عليها بسهولة.

والواقع أن التجول في غرف النقود هذه متعة عظيمة، وطريقة عرضهم لها أنهم علقوها في حيطان الغرفة، أو جعلوها في خزائن صغيرة ملصقة بالجدار ذات واجهات زجاجية، والأول هو الأكثر نظراً لكثرة النقود المعروضة، ولأن المكان محروس، فكل غرفة فيها حراس من الجنود الذين يراقبون الناس مع أن الذي يظهر من تصرفات الناس وتعاملهم أن إرادة الشر أو التخريب ليست هي الغالبة على طباعهم، أو هكذا يشعر المرء بينهم أنهم قوم وديون لا يعادون الغريب، ولا ينظرون إليه نظرات الحقد أو العداء.

### التماثيل البوذية والتماثيل الهندوكية:

انتشرت الديانة البوذية في الهند بشكل واسع لعدة قرون، ثم انحسرت حتى صار البوذيون من أقل أهل الديانات عدداً في البلاد رغم كون أصل الديانة البوذية من الهند، وانتقلت قوة البوذيين إلى أماكن أخرى مجاورة مثل سيلان وتايلند وفيتنام.

والذي أثار هذا الأمر في ذهني هو مشاهدة أعداد كبيرة من التماثيل المأخوذة من المعابد البوذية القديمة، ومن المعابد الهندوكية، وهي محفوظة في هذا المتحف، بل معروضة فيه لكثرتها.

وبمقارنة تماثيل البوذيين بتماثيل الهندوكيين كان أول ما يلاحظ أن تماثيل البوذيين تميل إلى الإغراء وإظهار المفاتن الجسدية للمرأة، وربما للرجل أيضاً، وهي أقرب إلى ابتغاء الجمال، فكأنها في هذا الأمر تقرب من طبيعة التماثيل اليونانية مع الفرق العظيم بين الاثنين مثل الفرق الكبير بين الديانتين البوذية والوثنية اليونانية قبل المسيح عليه السلام.

أما تماثيل الهندوكيين فإنها يغلب عليها القبح، أو قل إنها ليس فيها إرادة الجمال أو إبراز المغريات في الجسم.

وهذا في الأغلب الأعم الذي رأيته في هذا المتحف وغيره حتى إنني صرت هنا أعرف التمثال لأي الديانتين ينتمي قبل أن أقرأ ما عليه. إلا ما اعتاد عليه نحاتو التماثيل الهندوكية في فترة من الفترات من المبالغة في إبراز صدر المرأة وجعله عارياً، أو في إظهار فرج الرجل أخذاً من ديانتهم الهندوكية التي تعظم الفروج؛ لأنها تهب الحياة، أو هي وسيلة للحياة والنماء كما يقولون.

ومن التماثيل المعروضة هنا ما يرجع تاريخ نحته إلى قرب ميلاد السيد المسيح، وكلها من الحجارة، وأغلبها من حجارة حمراء باهتة اللون، وبعضها من حجارة سوداء، وربما كانت مجلوبة من منطقة بعيدة مختلفة.

وكل هذه التماثيل الهندوكية والبوذية أو أكثرها مأخوذ من معابد، وقصد بنحتها أن تمثل فكرة دينية عندهم.

**موميا مصرية :**

من أثمن ما في هذا المتحف الهندي على كثرة ما فيه من الأشياء الثمينة (موميا) فرعونية، أي جثة رجل محنطة من عهد الفراعنة كتبوا عليها تاريخها، وأنه قبل ٤ آلاف سنة، وقد كشفوا النصف الأعلى من الجثة فبدا الوجه في حالة سليمة لم يذهب منه شيء إلا بعض أرنبة الأنف، وهي الجزء الرقيق المتقدم من الأنف.

وبجانبه النعش أي التابوت المنقوش المزخرف الممتلئ بالكتابة المصرية القديمة (الهيروغليفية) وبجانبه القناع الذي وجد مع الجثة.

والحقيقة أن المرء يرى من هذه الجثة المحنطة أكثر مما يراه من مثيلاتها في مصر على كثرتها في مصر، وكونها هنا واحدة؛ لأن الهنود كشفوا عن أكثر الجزء العلوي منها كما قدمت، والزحام بالغ من المتطلعين إلى هذه الجثة والفرحين برؤيتها، وقد وضعت في صندوق زجاجي معتاد، ولكنني عجبت كيف استطاعوا أن يحافظوا عليها من التحلل أو من تأثير العوارض الجوية كل هذا الوقت؛ مع أنني كنت اشعر داخل المتحف بالحرارة ووطأة الرطوبة الثقيلة.

**ذات الأيدي الأربع :**

تكثر رؤية امرأة ذات أيد أربع في المعابد الهندوكية والمأثورات الدينية عندهم.

ورسموا هنا تمثالاً لراقصة ذات أيد أربع، وعند قدمها تمثال رجل كالمعجب بها، أو الذي يسألها شيئاً، وكتبوا عليه أنه من جنوب الهند، وأنه نحت في القرن الثاني عشر الميلادي.

ثم رأيناهم في قاعات أخرى عرضوا تماثيل بوذية من النحاس قديمة، وهي أيضاً تبرز مفاتن الجسد، ويذكرني هذا بالحالة الحاضرة للبلدان التي تسود فيها البوذية؛ حيث نجدها غارقة في الخطايا الجسدية، و ربما إلى درجة الانحلال؛ مثلما هو عليه الحال الآن في تايلند التي هي دولة بوذية رسمية، ومثلما كانت عليه الحال في فيتنام قبل استيلاء الشيوعية عليها.

وأما معتنقو الديانة الهندوكية في الوقت الحاضر، فإنهم أكثر محافظة من البوذيين، ويتمثل هذا في الهند؛ حيث نجد المرأة الهندوكية قد خرجت إلى ميدان العمل جنباً إلى جنب مع الرجل، ومع ذلك لا تزال محافظة بالمقاييس التي تقاس بها محافظة النساء في البلدان التي خرجت فيها المرأة من البيت، وصارت تعمل مع الرجال.

وكلما انتقلنا من قاعة إلى أخرى، ومن ركن إلى ركن في المتحف رأيناهم عرضوا تماثيل من العهد البوذي، ونحتت بأيدي أناس ينتمون لذلك الدين، وقد أبرزوا فيها صدر المرأة عارياً مضخماً إلى حد المبالغة.

وبعض هذه التماثيل الحجرية من الضخامة بحيث لا يحركه إلا عدة رجال أقوياء مما يدل على أن نحته كان بإشارة من ولي الأمر، أو بأمر من جماعة تقوم على شؤون الديانة عندهم في تلك الأزمان.

## تمثيل البشاعة:

عند ما زرت نيبال وهي دولة هندوكية رسمية، بمعنى أن الديانة الرسمية للدولة هي الهندوكية، ولا توجد دولة أخرى في العالم ديانتها

الرسمية الهندوكية، فالهند رغم كون الأكثرية من سكانها يدينون بالهندوكية إلا أنها تعتبر من الناحية الرسمية دولة علمانية وليس لها دين رسمي.

ولذلك كان أهل نيبال يظهرون الشعارات الهندوكية، وتماثيل آلهة الهندوك في الدوائر الرسمية والأماكن المهمة.

وقلت عندما رأيت تلك التماثيل: إنني لم أر في آلهتهم تمثالاً يمكن أن ينعت بأنه جميل أو حتى بأنه غير قبيح إلا تمثال (سيتا) زوجة (رام)، وأما البقية فإنها بشعة المنظر، وكان أحد الإخوة المسلمين من أهل نيبال معي عندما قلت له ذلك، وضربت له المثل بتمثال لأحد آلهتهم كانت صورته معلقة على الحائط قال: إن هذا تمثال إله الشر قد أبرزوا قبحه لأن الشر قبيح.

وأياً كان الأمر، فان زائر الهند سيلاحظ أن كثيراً من آلهتهم غير جميلة كما رسموها، أو أن رساميها أو نحاتيها لم يعرفوا إظهار الجمال فيها.

ومن ذلك عندهم تمثال (جانيش) الذي جسمه جسم إنسان، ورأسه رأس فيل، ويقولون: إنه إله الحراسة، لذلك يضعه بعض سائقي السيارات على سياراتهم ليحرسها - بزعمهم - من السرقة.

وهنا في هذا المتحف رأيت تمثالاً قبيحاً؛ جسمه جسم آدمي، ورأسه رأس خنزير، وكتبوا عليه في التعريف به أنه إله لأهل بيهار، وأن تاريخ نحت هذا التمثال له كان في القرن العاشر بعد الميلاد.

**المخلوقات العملاقة:**

خرجنا من قسم من هذا المتحف العظيم إلى قسم آخر يتعلق ما فيه بالمخلوقات العملاقة التي كانت تعمر هذه الأرض قبل أن يعمرها الإنسان، وانقرضت لسبب لا يعرفه العلماء، وإن كان بعضهم علل ذلك بأنه ربما كان ناشئاً عن صدام الأرض بكوكب آخر أو بمذنب من المذنبات نتج عنه اختلال في الحياة على ظهر الأرض، فماتت تلك الحيوانات العملاقة.

ومن الأشياء المعروضة هنا ناب فيل ضخم جداً يبلغ أكثر من ضعف ناب الفيل الكبير الموجود في الوقت الحاضر.

وطائر هائل كتب عليه إنه ربما كان من الأسلاف العملاقة للنعامة، وذكرت بهذه المناسبة الحكايات التي ذكرت بل كرر ذكرها في قصص ألف ليلة وليلة عن طير الرخ العظيم الذي يرفع الآدمي برجله دون أن يشعر بوجوده في رجليه لقوته وضخامته، وقلت ربما كان في أذهان واضعي هذه الحكايات شيء عن الطيور العملاقه القديمة ترسب فيها من الصور القديمة، فاستوحوا منها قصص طائر الرخ العظيم هذا، وأضفوا عليه من خيالهم ما زاد عما سمعوه ممن قبلهم.

وفي الغرفة سلحفاة هائلة الحجم أعتقد أنها في وزن بعير، ولها ذنب ضخم فيه عقد كبيرة، وقد كتبوا على هذه الحيوانات الثلاثة أنها كانت تعيش قبل ٧٠٠ ألف سنة.

وذكروا من المعلومات عن السلحفاة هذه أنها أكبر من أية

سلحفاة أخرى معروفة، وهذه المخلوقات موجودة بهياكلها، وبشيء من بقايا أجسامها، فليست تماثيل أو رسومات على الورق.

ورأيناهم عرضوا فكاً لفيل بالغ الضخامة حتى إن أسنانه أعادت إلى ذهني ما ورد في الحديث من أن أهل النار يعظم خلقهم فيها حتى يصير ضرس أحدهم كأنه الرحا، أو ما في معناه، وقلت: إن ضرس هذا الفيل هو ضخم فوق ما يتخيله أي مخلوق لم يره من قبل. و ﴿ الله على كل شيء قدير ﴾، وما دمنا نرى هذه النماذج لأحياء وأشياء كانت حية في القديم، فلماذا لا نصدق بما يماثلها، أو يفوقها مما يخلقه الله، أو مما يوجد في عالم الآخرة الذي يختلف عن عالم الدنيا اختلافاً كلياً؟

ولكن هذا الفيل ذا الفك الضخم له نابان قصيران بالنسبة إلى أنياب الفيلة المعروفة الآن، وربما كانت من فصيلة منقرضة من الفيلة القديمة.

ومن الأشياء الهائلة أيضاً جمجمة لفيل ضخم عندما يراه المرء يتخيل الفيل الصغير الحالي رابضاً على الأرض، ذكروا أنها وجدت في حوض نهر (قودا بري) وكتبوا عليها أنه لم يعثر على فيل آخر من هذا النوع في أي مكان من العالم حتى الآن.

واستمرت جولتنا في هذا المتحف الثمين، وإن كان الأمر لم يخل من منغصات، فقد كان الموظفون وبعض الزوار ينادي بعضهم بعضاً، ويتحدثون بأصوات عالية تشوش أفكار من يحبون أن يتأملوا ما فيه ويستوعبوه بأفكارهم.

وشيء آخر، وهو أن أبواب المتحف التي يفضي بعضها إلى بعض الغرف والممرات متسخة من كثرة الاستعمال، ولم تنظف ليعود إليها رونقها، أو على الأقل ليزول عنها الاتساخ، إلا أن الأمر فيها مثل الأمر في ثياب بعض الناس في شوارع المدينة التي يتركونها متسخة وهي على أجسادهم، ولا ينظفونها مع أن تنظيفها ليس صعباً.

**أنواع الأحجار:**

دخلنا غرفة في المتحف عرضوا فيها من أنواع الأحجار ما يعجب ويطرب، منها ما هو من الهند، وما هو من خارجها على اتساع الهند وتنوع الحجارة فيها.

ورأيناهم في هذه الغرفة قد جمعوا عدداً كبير من القطع الأثرية غير مرتبة لكثرتها وضيق المكان عنها.

وفي هذه الغرفة نماذج لأحجار من الشهب التي سقطت على الأرض من الفضاء الخارجي، وهي المعبر عنها بحجارة النيازك، وكلها ذات لون أسود.

كما عرضوا قطعاً من الحديد السماوي - إن صح التعبير - لأنه من الشهب التي سقطت على الأرض من الفضاء الخارجي، وليس من الحديد المعروف في الأرض.

وعلقوا فيها حجراً كبيراً ذكروا أنه سقط من الفضاء الخارجي على أمريكا في عام ١٨٩١م، وأنه من الحديد.

ثم دخلنا جناحاً للمخلفات الهندية خاصة، جعلوا لكل ولاية منها

مكاناً عرضوا فيه ما وجدوه في تلك الولاية من الآثار.

ثم عرضوا نماذج أنواع الآدميين بزعمهم من زنوج وبيض وما زعموه متطوراً من الإنسان البدائي الأول.

وفي ركن خاص من المتحف عرضوا تماثيل وصوراً للأشخاص الذين كان لهم فضل في إيجاد المتحف والقيام عليه، ثم تنمية معروضاته، وتسعة أعشارهم من الأوربيين، والباقون وهم العشر من الهنود.

ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا المتحف قد أنشئ عندما كانت بريطانيا تستعمر الهند، ولكنه استمر محفوظاً معتنى به حتى الآن؛ بل إن معروضاته تزيد الآن بدليل أن بعضها كان مجموعاً مكوماً في خزانات ونحوها ينتظر من يفرزه ويوضح حاله.

وقبل الساعة الخامسة بدقائق أعلنوا أن آخر موعد للبقاء في المتحف هو الخامسة، وأنه يجب على الزوار أن يغادروا المتحف قبل هذا الموعد.

وغادرته آسفاً على كوني لم أجد الوقت الكافي لرؤية كل ما فيه، وإن كنت رأيت أهم ما فيه، فهو في الحقيقة مهم، ولو قام إنسان من بلده إلى (كلكتا) لرؤية هذا المتحف وحده، وكان ذلك الإنسان من القادرين على دفع نفقات السفر لما عد مسرفاً، ولما كان سفره في غير طائل.

**هند الهند، أو... يا ويح من كفّره الجاحظ!**

سمى ابن بطوطة - رحمه الله - مدينة كانتون: (صين الصين) يقصد بذلك أنها هي الصين الحقيقية التي تتجلى في أهلها خصائص الصينيين، وأن من زارها كان قد زار الصين حقاً، وعندما أخبرت بعض الإخوة من أهل الهند بأنني سأزور (كلكتا) كانوا كلهم أو أكثرهم يقولون: إن (كلكتا) مدينة مزعجة قد اجتمع فيها الزحام والحر والرطوبة، ورداءة الشوارع والأزقة، وعدم النظافة في الهندام والأجسام.

وقد خرجنا من المتحف في الخامسة عصراً، وهي ساعة من ساعات الازدحام في الشوارع، وكانت الحافلات الكبيرة الضخمة تهدر محركاتها وتنفث من الدخان المؤذي ما يكاد يحيل الشارع إلى مكان يلفه الضباب، وتلفح حرارته الوجوه.

وكانت عربات الركشا والسيارات الأخرى تلح بأبواقها على المارة الذين كانوا كثرة كاثرة قد ضاق الشارع بهم على سعته.

والعربات التي يجرها الإنسان بدلاً من الحيوان؛ سواء منها ما كان فيها آدمي جلس فيها متربعاً أو متكوماً، وقد يكون من الضخام السمان، ويجره آخر يقطع به الشوارع، ويندس بين السيارات والعربات، وهو حافي القدمين، ضئيل الجسم بالنسبة إلى راكب العربة التي يجرها به مقابل مبلغ ضئيل من الروبيات.

وغالب أصحاب العربات هذه، وأصحاب عربات الركشا الأخرى يلبسون ملابس متسخة أو مهلهلة.

وقد ذكرت بهذه المناسبة ما سمعته من بعض أهل الهند عن مدينة (كلكتا)، وشاهدت تصديقه الآن، فقلت في نفسي: إذاً يصح أن يقال في (كلكتا) هذه بأنها هند الهند.

فالهند التي تتميز الحياة فيها بأشياء يصعب على غير أهل الهند تحملها، أو يصعب عليهم حتى النظر إليها على أنها من الأمور المعتادة، فإن الحياة في (كلكتا) يصعب على أهل الهند أنفسهم من خارجها تحملها، أوحتى رؤيتها حياة معتادة.

وذكرت بهذه المناسبة قولة قديمة قرأتها تتعلق بإمام الأدب العربي أبي عثمان الجاحظ، وهي قولهم: يا ويح من كفّره الجاحظ؛ ذلك بأن الجاحظ - رحمه الله - ليس من المعروفين بمتانة الدين؛ فإذا حكم على آخر بأنه كافر، فمعنى لك أنه رجل رقيق الدين جداً، أو لا دين عنده أصلاً.

وأهل الهند إذا حكموا على بلد في الهند بأنها مزعجة، وغير نظيفة فإنها تكون على حالة بالغة من عدم النظافة يصعب تصور احتمالها عند غيرهم.

## تذكار فيكتوريا :

ركبنا سياره أجرة لأنها تقي من فيها من دخان السيارات الكبيرة أكثر مما تفعله عربة الركشا التي تكون قريبة من الأرض ومكشوفة للدخان لأنه لا نوافذ لها، فانطلقنا إلى ناحية من (كلكتا) التي كانت حديثة، وهي مقر مكاتب الشركات والمؤسسات، يشقها شارع واسع في أكثره مواقف الحافلات، وفيه

رصيف عريض، وأسفله خط لقطار الأنفاق المسمى بالمترو الأرضي.

وعلى جانبه الشرقي الأبنية العالية الضخمة المتعددة الطوابق، أما جانبه الغربي فهو حديقة واسعة؛ بل شاسعة اذا دخلها المرء تخلص من كل مضايقات الشارع العام في (كلكتا)، بل من كل المنغصات في مدينة (كلكتا)، لأنها متسعة لا يصل إليها دخان السيارات، ولا ضوضاء المرور، ولا زحام المشاة، وليس من عيب فيها إلا كونهم جعلوا في داخلها طرقاً للسيارات حتى يسهل على من يريد الذهاب إلى بعض جهاتها أن يذهب إليها بسيارته.

وفي جانب منها قبة بارزة تشبه قبة (تاج محل) المشهور، واسمها (تذكار فيكتوريا) بناه الإنكليز عندما استولوا على هذه المنطقة من الهند في عهد ملكتهم فيكتوريا، ولا يزال هذا التذكار باقياً، بل بارزاً.

ورغم وجود هذه الحديقة، بل هي في الحقيقة مجموعة حدائق واسعة بهيجة المنظر، فإنني لم أر الناس يلجؤون إليها ليريحوا أنفسهم من عناء الشوارع أو الأزقة السيئة ماعدا جماعات من هواة الرياضة يمارسونها في هذه المدينة وعددهم قليل.

**اجتماع حزب المؤتمر:**

رأيت بجانب هذه الحديقة عشرات بل مئات السيارات الكبيرة من حافلات وشاحنات وهي محملة بالناس بشكل غريب جداً حتى قدرت أن في بعض الحافلات من الركاب ما يصل إلى مائتين في العدد، لأن ما يقرب من مائة يركبون فوق سطح الحافلة، وعرفنا أن

هؤلاء جاؤوا من أنحاء البنغال لحضور اجتماع لحزب المؤتمر في هذه الولاية.

وأكثرهم موجودون في سياراتهم مع أنها واقفة، وبعضهم كانوا نازلين عن السيارات ويفترشون الرصيف قربها.

ومع الكثرة الكاثرة في عددهم فإنه تبادر إلى ذهني مقارنتهم بالصينين الذين هم ذوو عدد كبير؛ بل هم أكثر من الهند عدداً، فذكرت أن أهل الصين أحسن مظاهر، سواء في هندامهم أو في أجسامهم من أهل الهند، وقل أن ترى فيهم من يلبس ثوباً زرياً فضلاً عن أن يكون ثوباً مهلهلاً، وقل أن ترى من يظهر سؤ التغذية على وجهه أو يتضح الشقاء أو الهزال على محياه؛ بل كلهم على فقرهم ذو ملبس نظيف ومظهر لا بأس به.

وأما أهل الهند، وبخاصة هؤلاء الذين أراهم الآن، فإن فيهم من ثيابه متسخة، ومن هو بالغ الهزال.

**على نهر هوقلي:**

وصلنا بالسيارة إلى ضفة النهر الرئيسي في (كلكتا) واسمه (نهر هوقلي)، وتقع مدينة (كلكتا) على ضفته الشرقية، أما ضفته الغربية فتقع عليها مديرية (هورا) التي هي من ولاية البنغال الغربي الذي عاصمته مدينة (كلكتا)، وهو نهر كبير يكاد يصل إلى حجم نهر النيل فيما نراه من اتساعه، وما يظهر من مياهه التي رأينا فيها سفناً متوسطة وصغيرة.

وهو مقدس عند الهنادكة يغتسلون منه في الصباح، ولكنه

ليس في القداسة كنهر الكنج (قانقا) الذي يمر بمدينة بنارس، وقد ذكرت شيئاً مما شاهدت الهنادكة يفعلونه عند نهر الكنج في كتاب: (الجنوب الشرقي من الهند) من هذه السلسلة في كتب الرحلات عن الهند.



**مع الشيخ عين الباري على ضفة نهر هوقلي في كلكتا**

وقد عزلوا ضفة النهر عن الشارع العام الذي تسير فيه الحافلات والسيارات، بل والحيوان بسياج من الحديد حتى يكون ملجأ لمن يريد الاستجمام أو الراحة في النظر إليه، وبالفعل وجدنا منهم أعداداً كبيرة قد جلسوا على مقاعد في هذه الضفة التي يسمى العوام مثلها (الكورنيش).

ولكن كل ما في هذا المكان الذي أعد لراحة الناس يدعو لعدم الراحة من الكراسي الخشبية التي وضعتها البلدية، وهي ثابته الأرجل إلا أنها متسخة وبعضها متكسر.

ومع ذلك جلسنا على أحدها بعد أن كدنا نيأس من أن نجد كرسياً خالياً.

وكان الجلوس أمام النهر الذي لا يأتيك منه دخان حار من الحافلات ولا أصوات مزعجة مما يكون في الشوارع إلا أن هناك رائحة خبيثة منبعثة من مجرى للمياه المستعملة كدرت الجلوس.

وكانت معي مصورتي، فرأيت القوم يزدحمون حولي كلهم ينظر ماذا أفعل.



**نهر هوقلي في كلكتا ساعة الغروب**

وقد جعلني ذلك مع ما خبرته من طبيعة القوم في غير هذا المكان أحكم عليهم بانهم من ذوي الطبيعة الفضولية التي تحب الاطلاع حتى على الشيء الذي لايعني، ولعل من أسباب ذلك قلة العمل عندهم، او عدم أهمية الوقت لديهم.

ومن الغريب الذي لم أعرف له تعليلاً أنه رغم نقص النظافة في أكثر الأماكن، وفي اغلب الأشياء، فان الذباب هنا قليل، وليس بالكثرة التي هو عليها في الأحياء الشعبية في مدينة دلهي، وربما كان مرجع ذلك إلى كثرة الأبقار والحيوان السائب في شوارع دلهي، وبخاصة في ضواحي المدينة، وقلتها في (كلكتا).

وينبغي أن نتذكر هنا أن ولاية البنغال الغربي التي عاصمتها (كلكتا) تبيح ذبح البقر وبيع لحمه على خلاف ما عليه الحال في أكثر ولايات الهند؛ حتى الولاية الوحيدة التي يؤلف المسلمون الأغلبية الساحقة من سكانها، وهي ولاية (جامو وكشمير) تمنع ذبح البقر، لذلك تكثر في شوارع مدنها الأبقار السائبة.

غير أن الأماكن التي خلت في الشوارع والساحات من الأبقار قد ملئت بالآدميين الذين لا يراهم الزائر بهذه الكثرة في مكان آخر في الهند مثلما يراهم في (كلكتا) حاشا أحياء معينة في مدينة بومبي، ففيها زحام شديد من الناس.

### يجيئون للاغتسال في البحيرة:

رأينا قرب النهر وفي أماكن غيره عشرات، بل مئات الحافلات الواقفة، وقد نزل منها أهلها من رجال ونساء، واحتلوا الرصيف

يقيمون عليه، وينامون ويطبخون بالحطب عليه، ولكن ذلك منهم يكون لمدة قصيرة محدودة.



**يستريحون ويغتسلون على الرصيف**

وهم كما تحققت من ذلك أقوام من الهنادكة جاؤوا إلى البنغال من ولاية (بيهار)، وولاية (أوريسا)، وشرق ولاية (يوبي)، وهي ولاية (إتربراديش) أي الولاية الشمالية.

وذلك من أجل الاغتسال في بحيرة البنغال التي هي مقدسة عندهم، ولا تسعهم حالتهم المالية، ولا يرون أن وقتهم يتسع إذا كانوا على حالة مناسبة من اليسار أن يستأجروا منازل أو بيوتاً يقيمون فيها أثناء مرورهم المؤقت بـ(كلكتا)، لذلك هم يفترشون الرصيف،

ويطبخون عليه، وبجانبهم الحافلات التي أحضرتهم، وحين يقضون أمرهم من (كلكتا) يركبونها ويذهبون.

وذكروا أن من اعتقادهم أنه ينبغي أن يذهب المرء المتدين منهم إلى بحيرة البنغال مرة في العام يغسل جسمه وملابسه بمائها المقدس، وذلك في وقت معين من السنة.

وأكثرهم ينتهزون الفرصة، فيزورون مدينة (كلكتا) التي يقول فيها المثل البنغالي: ((من لم يزر (كلكتا) لم يخرج من بطن أمه)).

وتبعد بحيرة البنغال المقدسة عندهم على بعد (٦٠) كيلو متراً من (كلكتا).

### معنى اسم كلكتا:

(كلكتا) هذه المدينة الضخمة التي هي أكبر مدن الهند على الإطلاق، وتعد من أكبر المدن العالمية، هي حديثة الإنشاء، وليس لها ماضٍ قديم مثل (دلهي) أو حتى مدراس.

ومع ذلك اختلف في معنى اسمها، فقال بعضهم: إن السبب فيه أن الإنكليز عندما دخلوا البنغال ورأو أناساً من الريفيين يقطعون الحشيش من الأرض لدوابهم، فسألهم الإنكليز عن اسم المكان، فظنوا أنهم يسألونهم عما يفعلون، فقالوا: (كلكتا)، بمعنى نقطع العشب.

قالوا: فظن الإنكليز أنهم فهموا كلامهم، وأن هذا هو اسم

المكان، فسموه (كلكتا).

وقيل: بل (كلكتا) كان اسم قرية صغيرة كانت موجوده في المكان سميت عليه هذه المدينة الكبيرة.

ويجمع الباحثون على أن (كلكتا) لم تصبح مدينة ذات أهمية إلا في عهد الاستعمار الإنكليزي، وبعضهم يقول: بل لم تؤسس إلا في ذلك العهد.

وقضينا وقتاً طيباً على ضفة النهر، كانت النسمات النهرية تداعب الوجوه، وكانت مراقبة اندفاع النهر في سيره متعة جديدة.

وغربت الشمس ونحن هناك حيث كنت أرقب غروبها بالقرب من مياه النهر.

ولكن كيف الركوب؟

انصرفنا من ضفة النهر ودخلنا شارعاً رئيسياً يمر بالقرب منه تقف الحافلات فيه، وقد امتلأ بالناس فكانت الحافلة تأتي وهي مليئة بالركاب، وبعضها تراهم متعلقين بها مما ذكرني بمنظر الحافلات في القاهرة قبل سنوات.

ولا يمكن لشخص يحترم نفسه ويجد مندوحة عن الركوب أن يركب فيها وهي علىهذه الحالة، ومع ذلك ترى الواقفين في انتظارها يركبون كيفما اتفق رغم أنها مليئة.

وقد انتظرنا وصول سيارة أجرة (تاكسي) فكانت تأتي كلها دون أن تقف لأنها مشغولة وطال الإنتظار ونحن بحاجة إلى الذهاب

للفندق لصلاة المغرب ولغير ذلك.

وكان موقف الحافلات، وهو مكان متسع على جانب الشارع تنبعث منه رائحة خبيثة مبعثها من بول البائلين في جانب من هذا المكان على الرصيف، لأنهم كثرة كاثرة، وبيوتهم بعيدة، وليس هناك أماكن للبول مناسبة.

ومع ذلك رأيت فيهم ظاهرة حميدة عجيبة، وهي أنهم كانوا يقفون صفوفاً منتظمة في انتظار وصول الحافلة، فإذا وقفت بدؤوا الركوب الأول فالأول، إلا من لم يطق الزحام وتأخر في انتظار حافلة أخرى.

واقترح المرافق الأخ (عين الباري بن أحمد حسين) أن نذهب إلى الفندق سيراً على الأقدام، وقال: إنه بعيد، ولكن السير إليه خير من الانتظار هنا.

فمررنا بميدان صغير نظيف أمام قاعة البلدية، وهي ذات مبنى حديث نظيف. وقال الأخ (عين الباري): لقد بناه البريطانيون إبان استعمارهم الهند.

ورأيت ميداناً صغيراً غير بعيد منه فيه كومة ضخمة من القمامات والنفايات متروكة لا تجد من يبعدها رغم الأيدي العاملة الرخيصة في المدينة، ورأيت طائفة من الأطفال يتغوطون فوق هذه الكومة من النفايات وغير بعيد منهم رجال يبولون واقفين على الرصيف.

وقد صار لهذه النفايات رائحة خبيثة تؤذي من يمر بها، فكيف

بمن مسكنه قريب منها.

يوم الخميس: ٢٤/ ١/ ١٤٠٨هـ، ١٧/ ٩/ ١٩٨٧م

**إلى جامع الرُّبان:**

وكلمة الرُّبَّان هذه ترجمة عربية مني لاسمه الحقيقي عندهم الذي لابد من ذكره لأنه من الأعلام التي لا تصير ترجمتها علماً، لذلك لاتترجم إلا مع ذكر الاسم الأصيل وهو:

(ناخودا مسجد)، والناخودا هنا هو صاحب السفينة، أو كبير البحارة فيها، ويصح ترجمته لذلك بكلمة (رُبَّان)، وكنا نعرف كلمة (ناخودا) عندما كانت طائفة من بني قومنا تذهب إلى الخليج العربي للغوص على اللؤلؤ، فكانوا يقولون (النوخذة) بذال معجمة بديلة من الدال المهملة هنا.

سرنا إليه في صباح هذا اليوم من فندق (قرين استيرن هوتيل) الذي أسكن فيه.

وكان الأخ (عين الباري) قد حضر إليَّ باكراً فمشينا على أقدامنا مع أرصفة قذرة من القمامة وبقايا البصاق، وأشياء أخرى إلى جانب أغطية للمجرى القذر للمياه التي تكون متكسرة في بعض الأماكن، وهي تبدو من الحجارة أو من الإسمنت المخلوط خلطاً غير محكم، فتفوح من تحتها الروائح النتنة، وتكمل في المنظر ما قد يكون البصاق في أرض الشارع قد عجز عن تكميله من أجل إيذاء المارة ومضايقتهم.

استأجرنا سيارة للوصول إلى (جامع ناخودا) هذا.



## جامع الناخوذا في كلكتا

فوجدته مسجداً عظيماً رفيع البناء، واسع الفناء، ذا مدخل خارجي كأنه مدخل القصور الفخمة، أو الجوامع الشهيرة في العالم، حتى إن ارتفاع بوابة المدخل تساوي ارتفاع بناء من ٨ طوابق، ويقع على

شارع تجاري مهم اسمه (زكريا استريت)، وهذا اسم أحد المسلمين من حي (جيت فور)، وقد كتب تاريخ بنائه باللغة الفارسية عام ١٢٧٤هـ.

أما الناخودا الذي بنى المسجد فاسمه (عبدالرحمن بن عثمان)، وهو من أهل (كجرات) في الهند.

وهذا الشارع التجاري هو جزء من أسواق تجارية تشغل المنطقة، وفيه تجار مسلمون كثير.

وكذلك يوجد بين السكان في المنطقة المحيطة بهذا الاسم مسلمون بأعداد لا بأس بها.

قابلنا إمامه الشيخ (محمد صابر).

وقد حدثنا الأخ الشيخ (محمد صابر) عن أمور عجيبة من أمور هذا المسجد، من ذلك قوله: إن هذا المسجد عليه أوقاف عديدة من حوانيت وغيرها يصرف ريعها فيما يحتاج إليه المسجد، وأنه يصلي فيه يوم الجمعة حوالي (٢٥) ألف مصلٍ، ويمتلئ بهم فيفيض عددهم إلى أرصفة الشارع وما حوله.

قال: ويبلغ عدد المصلين فيه صلاة المغرب ألفي مصلٍ، وذلك أنه في هذا السوق العامر، بل الأسواق العامرة بالحوانيت، وفيها أعداد من المسلمين الذين يؤدون الصلاة، وأما أوقات الصلوات الأخرى فإن عدد المصلين قليل بالنسبة إلى ما سبق ذكره من صلاة الجمعة والمغرب.

وذكر أنه على هذا الاعتبار يعتبر من أكبر المساجد في (كلكتا).

ومن الشيء الجميل المفيد أننا وجدنا الإمام جالساً في غرفة ملحقة في المسجد، وحوله كتب كثيرة، وأدوات الكتابة، فسألته عما يعمل هنا، ولم أر عنده تلاميذ مثلاً؟ فأجاب: إنني جالس هنا لإفتاء المسلمين وإرشادهم، فهم اعتادوا على أن يأتوا إلى المسجد لهذا الغرض.

وقال: اذا لم يكن عندي مستفتون، فإنني أطالع في هذه الكتب.

والغريب أنني رأيت أناساً من الكفار، وهم هنا الهنادكة يأتون إلى الإمام ويتحدثون معه ثم يخرجون، فسألته عن الأمر فقال: هم يأتون يسلمون ويخرجون.

وفكرة جلوس إمام المسجد في وقت الضحى للإفتاء والإرشاد في المسجد أمرله معناه، وهو مفيد جداً حبذا لو أخذ به بعض أئمة المساجد الذين تمكنهم ظروف عملهم من ذلك.

وأما مجيء الكفار إلى إمام المسجد والسلام عليه فيه، فإن مرجع ذلك إما أن يكونوا يريدون الحصول منه على تميمة أو تعويذة مما يعتقدون أنه ينفع من المرض ونحوه، وإما أن يكون ذلك ناتجاً عن روح التعاون الثقافي الأدبي بين المسلمين والهنادكة في البنغال، الذين تجمعهم اللغة البنغالية، ويجمعون كلهم علىالتأدب بآ دابها، والتمتع بما فيها من الشعر والفن.

وهذا أمر معروف قد تأتي له شواهد، وقد مر بنا الحديث عن المدرسة العالية، والكلية العالية التي هي مدرسة إسلامية عربية تنفق

عليها حكومة ولاية البنغال التي هي حكومة كافرة بأغلبية أعضائها، وأغلبية الشعب البنغالي الذي تمثله.



**شارع جامع الناخوذا**

وهذان التعليلان اللذان ذكرتهما هما من عندي؛ حيث لم يخبرني الإمام، ولا الأخ المرافق بالسبب، فاجتهدت في تلمسه، وقد

يكون خطأ، والله أعلم.

والمسجد طابقان: الأعلى منهما مرتفع، وكلاهما يصلى فيه.

وقد كتب على مدخل المسجد الداخلي: ((قال الله تعالى: ﴿فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾. ١٢٧٤هـ)) ثم بيتان من الشعر باللغة الفارسية.

وبعد زيارة المسجد تمشينا في هذا السوق التجاري المهم، فرأيت غير بعيد من (مسجد الناخودا) معبداً هندوكياً صغيراً جداً بالنسبة إلى المسجد وهو ذو طلاء أبيض.

ومن طريف المناظر التي استرعت انتباهي أنه في هذا السوق الهام المزدحم بالناس كان هناك صنبور للمياه يصب في حوض صغير من الإسمنت أحدث في ذلك المكان ليستقي منه الناس ويشربوا، ولكنني رأيت عدداً من الأشخاص يغتسلون فيه وسط زحام الجمهور، وليس على الواحد منهم إلا ما يستر عوراته من (فوطة) أو تبان وهو السروال القصير.

ورأيت الماء متغير اللون؛ بل أصفر ظاهر الصفرة، قالوا لي: إن سبب ذلك أنه يجلب من منطقة فيها رمل أصفر، ولكن كيف يتسرب الرمل وهو ثقيل حتى يخرج من ذلك الصنبور الذي هو بطبيعة الحال من عشرات الألوف من الصنابير؟

**منتزه محمد علي:**

سرنا على أقدامنا من السوق التجاري هذا نبتغي سيارة أجرة لم نجدها داخل السوق، فوصلنا إلى شارع اسمه (شارع جترنجو)، وهو

هندوكي من أهل البلاد يقع على هذا الشارع منتزه وحديقة تسمى (محمد علي بارك)، وهو مسلم من زعماء البلاد، ومن أوائل المطالبين بالاستقلال.



**معبد هندي في وسط مدينة كلكتا التجاري**

ولاحظت في هذه الشوارع مظهراً من مظاهر الفضول عند القوم، ذلك أن بعضهم اذا سمعني أو رآني أتحدث مع رفيقي الشيخ (عين الباري)، فإنه يقف عندنا ويثبت بصره في وجوهنا ويرهف سمعه إلى ما نقول، وكأنه صديق حميم طلبت إليه أن يشاركنا الحديث، وهذا أمر تكرر من بعضهم أكثر من مرة في هذا السوق بالذات.

ورأيت في هذا الشارع المهم الذي عليه منتزه (محمد علي)

أكواماً من القمامات متروكة لم تجد من يرفعها ولا أدري السبب.

### عود إلى وسط المدينة:

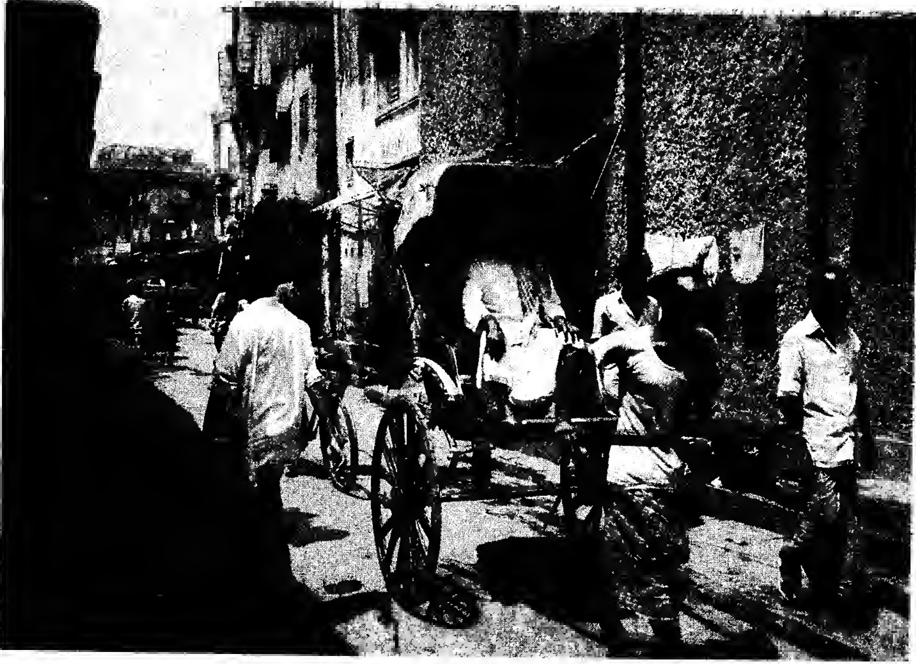
أراد رفيقي الشيخ (عين الباري) الذهاب إلى المدرسة العالية التي يعمل أستاذاً فيها من أجل التوقيع على دفتر الحضور والاستئذان بالخروج معي.

فمررنا بكلية مدنية حكومية اسمها كلية (مولانا أبو الكلام آزاد)، وهو أحد الزعماء البارزين في حزب المؤتمر الهندي الذي تولى الحكم في الهند بعد الاستقلال، وكان من معارضي تقسيم البلاد بين الهند وباكستان، وبالتالي هو من زعماء المسلمين الذين كانوا ضد إنشاء دولة باكستان.

دخل الشيخ (عين الباري) إلى الكلية العالية، ووقفت خارجها أتأمل هذه المنطقة المزدحمة، فأمسك بيدي شخص قال إنه مسلم، وأخذ يكلمني بالأوردية، وأنا أفهمه بهذه اللغة التي لا أفهمها (أردو مفهوم ني)، ولم ينفع ذلك في دفعه، وتبين أنه فضولي، ولكنه أضاع عليَّ وقتاً.

ومرَّ عدد من ساحبي العربات التي تحمل الأمتعة والناس، فرأيت أن الجامع بينهم هو النحافة في الأحسام، وهو أمر غالب على أهل هذه المدينة بصفة عامة؛ ربما كان مرجعه إلى كونهم من أكلة السمك والأرز، ومعلوم أن السمك لا يسمن كما يسمن اللحم الحيواني؛ لأن الدهن في السمك قليل، غير أن هؤلاء الحمالين الساحبين للعربات يبذلون جهداً عضلياً متواصلاً فيجعلهم ذلك يحرقون الدهون التي قد

تكون في أجسامهم.



**دراجة يسحبها شخص براكبها في كلكتا**

**منظر مؤلم:**

لا أنسى منظراً رأيته في هذه الساعة حز في نفسي، بل آلمني ألماً شديداً، وقد يصعب أن أنساه لمدة طويلة، وهو من مناظر البؤس التي قد يوجد لها مثيل في أنحاء من الهند، وبخاصة في الأرياف والأحياء الشعبية من أطراف المدن.

وهو منظر رجل بائس نحيل ذي شعر كثيف قاعد على قطعة قديمة من الخيش في جانب الشارع، وبنية له عمرها في حدود العاشرة

تفلي رأسه من القمل، أي تبحث عن القمل في رأسه وتبعده عنه.

وبجانبه على الأرض قعدت امرأة نحيلة جداً تمثل ما قيل بأنها جلد على عظم، ومع ذلك لا تكف عن السعال الشديد الذي يشبه سعال المسلول، وهو المصاب بداء السل، فيهز السعال كيانها كله، وتتفل ما يخرج من صدرها بجانبها من أرض الشارع.

ومنظرها بهذا الوضع مؤلم جداً، ولكن الأشد إيلاماً للنفس أنه تبين أنها عمياء، فعيناها قد غشاهما البياض ولا تبصر، وهي تأكل من خبزة في يدها دون أي إدام، وقد تجمع عليها الذباب يقع على وجهها وشعرها الذي بعد عهده بالمشط، وربما الماء إن كان في وقت من الأوقات قرب منه.

ولا أدري ألها علاقة بالرجل الجالس بجانبها على الخيشة وابنته التي تبعد القمل عن رأسه، أم أنه البؤس والشقاء هو الذي جمع بينهما؟ ولكنني لاحظت أن البنية أحضرت إناء صغيراً فيه قليل من الأرز الأبيض، ربما كان فضلة طعام تصدق بها عليهم بعض المحسنين، فجذبوا يدها لتأكل معهم، وكان الذباب الكثير يجلل الإناء، ويحوم فوقه وفوق أجسامهم، وهم لا يبالون بذلك إلا بما تقع أيديهم عليه من إناء الأرز، فإنهم يبعدون الذباب عنه.

وأطلت الوقوف عندهم لأنهم يجلسون غير بعيد عن بوابة الكلية العالية التي هي -أي بوابتها - عالية بالفعل.

ولكن كانت رائحة خبيثة منبعثة من مجرى للمياه المستعملة يجري بجانب الشارع قد انكسر بعض غطائه كانت تبعدني عنهم

مرة بعد أخرى؛ حيث أبعد قليلاً من أجل الحصول على نسمة من الهواء خالية من هذه الرائحة.

ووجدتني أسأل نفسي من غير أن أنتظر الجواب قائلاً: ولكن، أين الحكومة الديمقراطية التي تجيء للحكم بانتخاب حر، وفق مفاضلة، بل مناضلة من الأحزاب للوصول إلى الحكم؟

ثم وجدتني أجيب على هذا السؤال بسؤال آخر، وهو أهذه هي الديمقراطية؟

وأؤكد هنا أنه رغم المناظر السيئة والمنغصات في شوارع هذه المدينة المزدحمة، فان القوم فيها هم على أخلاق عالية فيما يتعلق بالتعامل مع الغريب، فلا يؤذيه أحد، أو يسخر منه، أو يحاول أن يتقرب منه ليحصل على شيء من النقود دون وجه حق، حتى الباعة الصغار كباعة الفاكهة والخضروات لا أراهم فيما عرفته من أمرهم يزيدون علي في السعر، أو يلحون علي أن أشتري منهم ما لا أحتاجه؛ بل حتى السائلين المستجدين (الشحاذين) في هذه المدينة، فإنهم لا يلحفون في سؤال الغريب ويتابعونه إلى حيث ذهب كما يفعل (شحاذو) بومبي، وربما كان مرجع ذلك لقلة الأجانب الذين يأتون إليهم، ولذلك لم يتعودوا منهم على العطاء الذي يأتي نتيجة للإلحاح في السؤال.

والشيء غير المريح في أهل هذه المدينة هو الفضول الشديد، وحب الاستطلاع على ما ليس من شأن المرء كما تقدم.

**بائع التنبول:**



**بائع التنبول في كلكتا**

رأيت بائعاً للتنبول في حانوت له على الطريقة التقليدية لأصحاب حوانيت التنبول، وهي أن يكون الحانوت - وهو الدكان إن لم تكن

تعرفه - صغيراً مرتفعاً عن الأرض بقدر المتر، أو أعلى قليلاً، ويكون فيه صاحبه قد جلس متربعاً، وقد ملأ رفوف حانوته بأوعية وأوانٍ معدنية فيها أشياء لا يعرفها إلا من عرف التنبول، ومنها الجير، ودخان مطحون، وشيء أحمر، وشيء آخر في وعاء آخر له رائحة طيبة، ووعاء فيه حبات من (الهيل) الذي نجعله بهاراً للقهوة.

إلى جانب الدخان الذي يصف أنواعاً من الموجود من الهند.

ورأيت صاحب الحانوت هذا ذا هيئة متميزة، فهو نظيف الثياب، نظيف البدن، وعلائم الصحة بادية عليه، والمراد بها هنا مظهر التغذية الكافية الذي يبعد عن المرء نحول الجسم، وثيابه وافرة، فعرفت أن هذه هي صفة التجار من المسلمين الذين يعرفهم المرء بهذه الأمور المتميزة، فوقفت بعيداً عنه أراقب ما يكون، فكان من ذلك الشيء المعتاد، وهي أن يتناول ورقة من ورق التنبول الأخضر الذي يشبه ورق الأترج، وهو أي ورق الأترج أكبر من ورق أشجار البرتقال، فيضع فيها من هذه الأخلاط التي عنده، ثم يلفها بأصابعه بعناية، ويعطيها للمشتري، ويقبض الثمن، فيضعها المشتري في فمه ويبدأ بمضغها، وبصق ما يتحلب في فمه من الريق على أرض الشارع، وهو كثير الكم، قبيح المنظر، يشبه منظره على البعد منظر الدم، فيتخيل الغريب حين يراه أنه يقذف الدم من فمه، وحتى منظره على الأرض فيه من منظر الدم غير الكثيف، هذا بالنسبة إلى التنبول، وهو أمر شائع الاستعمال في الهند كلها على اختلاف بين بلدانها في كثرة استعماله وقلته، وفي إضافة مواد معينة إلى تلك التي يلف عليها ورق التنبول.

وأهل (كلكتا) مشهورون بكثرة مضغ التنبول والبصاق بسببه على أرض الشارع، هذا بالنسبة للتنبول، ولكن صاحب الحانوت يكون لديه بالضرورة دخان، فالدخان رفيق للتنبول، وإن لم يكن ماضغ التنبول شارباً للدخان بالضرورة، ولكنه يضع في أكثر الأحيان شيئاً من المطحون فيما يضعه من أشياء داخل ورقة التنبول التي يمضغها، ثم يبصق ريقه من أجل أن لا يضر الدخان والمواد الأخرى بطنه إذا بلعه لأنه سام.

ولكن لا بد من علب الدخان واللفافات (السجاير) عنده.

ومن طريف ما رأيته عندهم، وبخاصة عند هذا الدكان الذي وقفت عليه - إن كان في الأمر طرافة - وهو أمر يدعو للأسف أن صاحب الحانوت يبيع على الناس الذين يأتون إليه سيجارة سيجارة، أي لفافة واحدة لا ثانية لها، وذلك أن دخولهم لا تسمح لهم بشراء علبة كاملة فيما يبدو، وقد رأيت عشرات من المشترين للدخان لفافة واحدة، ولم أر واحداً اشترى علبة، وإنما رأيت شخصاً واحداً اشترى لفافتين معاً (أي سيجارتين).

وإذا اشترى الشخص (سيجارة) واحدة من صاحب الحانوت، فإنه يريد - بالطبع - أن يدخنها، ولا يكون معه ثقاب ويصعب على صاحب الحانوت أن يعد ثقاباً لكل هؤلاء؛ لأن ذلك يتطلب نفقة، ولكنه حل المشكلة بطريقة طريفة، وهي أنه علق في زجاج الحانوت عند بابه حبلاً ممتداً من (الكنبار)، وهو حبال تصنع من قشور جوز الهند بعد استخلاص الزيت منها، وكانت تلك الحبال معروفة في

بلادنا، يأتي بها الناس من بلاد الهند، ويستعملونها لما تستعمل له الحبال في شد الأمتعة ونحوها.



**يشعل لفافته من حبل عند بائع التنبول**

أما هنا فإن الحبل يكون معلقاً وطرفه فيه نار، والنار لا تسير في حبل الكنبار بسرعة، فيأخذ الذي يشتري السيجارة من الحانوت طرف هذا الحبل الذي فيه نار، ويشعل لفافته منه ثم يمشي، وهكذا.

وقد وفروا بهذه الطريقة ما يستهلكه المرء عادة من أعواد الثقاب في إشعال اللفافة.

وقد تكررت رؤيتي لهذا المنظر في عدة حوانيت تبيع التنبول والدخان.

واقتربت من صاحب الحانوت الذي دلت نظافة ثيابه وجسمه على أنه مسلم أريد أن أسأله وأتأكد من ذلك، فبدأني هو قائلاً: وهل أنت عربي؟ فقلت: نعم، وأنت؟ قال: أنا مسلم من أهل هذه البلاد، واسمي (محمد جميل).

فقلت: أزرت البلدان العربية؟ فقال: لا، وإنما عرفت بعض العرب الذين جاؤا إلى هذه البلاد، فقلت له: أرى أن المبالغ التي تبيع بها قليلة جداً فهل تكسب ما يكفي من هذا الحانوت؟ فقال: نعم الحمد لله.

وذلك أن الناس يدفعون إليه مبالغ ضئيلة جداً، ولكن عددهم كثير و(القليل من الكثير كثير).

فقلت له: يا أخ محمد جميل، ماهي فائدة التنبول؟ فأجاب: ليس له فائدة، إنما هو مثل الدخان.

والواقع أن هذه إجابة سديدة، ومطابقة للواقع الذي عرفته من حال من اعتادوا على مضغه.

وهي أحسن من إجابة بعض إخواننا من طلبة العلم والعاملين في الجمعيات الإسلامية الذين إذا رأيتهم (يتنبلون) سألتهم عن فائدة التنبول، فيذكرون له عدة فوائد، منها أنه يشد اللثة وينفع الأسنان، ولكن الذين قالوا لي: أنه ينفع الأسنان رأيت أسنانهم ليست على ما يرام، فبعضها ساقط، وبعضهم مائل، وبعضهم حائل اللون، وربما كان مرجع ذلك إلى كونهم من المسنين أو من المتوسطين في العمر، أو من عدم العناية بالأسنان.

وطاب لي المكث واقفاً عند صاحب الحانوت؛ لأنه صغير مرتفع

عن أرض الشارع لا يصلح للجلوس، فرأيته يبيع شيئاً كالأسبيرين بالحبة الواحدة، ويأخذ ثمنها نقداً معدنياً ضئيلاً.

وقد صورت حانوت الأخ محمد جميل لأنه كان جميلاً مرتباً ذا منظر مقبول بالنسبة إلى ماحوله من الحوانيت.

## قول هندي في التنبول:

رأيت قبل أن أختم هذا الكلام عن التنبول أن أنقل كلمة لعالم هندي هو الشيخ عبد الحي والد العلامة الشهير الشيخ أبي الحسن الندوي عن التنبول في الهند، قال:

(( ومن نوادر الهند ورق ((التنبول)) ويسمونها ((بان))، شجره يغرس كما تغرس دوالى العنب، ويصنع له معرشات من القصب كما يصنع لدوالي العنب، أو يغرس في مجاورة النارجيل، فيصعد عليه، ولا ثمر للتنبول، وإنما المقصود منه ورقه، وهو يشبه ورق العليق، وأطيبه الأصفر، ويجتنى أوراقه كل يوم، وكيفية استعماله أن يأخذ ورق التنبول، فيجعل عليه شيئاً من النورة و((السكات)) ، ويأخذ الفوفل، فيكسر حتى يصير أطرافاً صغاراً فيذر عليه ويلفه، ثم يجعله الإنسان في فمه ويعلكه فيفرح، ويعين على الجماع، ويجعله الإنسان عند رأسه ليلاً، فإذا استيقظ من نومه أخذ منه فيذهب بما في فمه من رائحة كريهة، أو يأخذ منه بعد الطعام فينقي الفم، ويطيب النكهة، وفي ذلك قال الشيخ أحمد بن علان، وهو إذ ذاك بالهند:

لطائف الهند ثلاث أتت     الأنب والنرجس والبان

قال لي الخان: نسيت النسا     والحق ما قد قاله الخان

أقول: الأنب هو (المانجو).

**ضيوف الرصيف:**



**يفترشون الرصيف في وسط كلكتا**

تركت الأخ محمد جميل، وحانوته الجميل، ودخلت شارعاً مجاوراً، فرأيت طائفة، بل طوائف من الناس، النساء فيهم والأطفال أكثر من الرجال، قد افترشوا الرصيف، ورتبوا فيه أمتعتهم، وبعضهم نائم فيه، وبعضهم يأكل، أو يعمل شيئاً آخر، والشارع مزدحم بالناس من الباعة والمارة، ولا أدري أهؤلاء من سكنة الرصيف، أم من أهل الريف الذين جاؤوا إلى (كلكتا) لغرض من

الأغراض فجلسوا فيه إلى حين انقضاء حاجاتهم.

وظني أن الأخير هو الصحيح؛ لأنني لم أر في (كلكتا) ما رأيته في بومبي من سكنى طوائف من الناس يبلغون مئات الألوف في الشوارع وعلى الأرصفة لا يكون لهم بيت ولا مسكن غيره، ولا يكون لهم من متاع الدنيا، إلا ما يفترشون من قطعة من الخيش أو الورق المقوى، ولا أدري - أيضاً - أذلك لكون المسؤولين في (كلكتا) يمنعون من سكنى الأرصفة؛ في حين تسمح به بلدية بومبي.

وبجانب هؤلاء صنبور من الماء في رصيف الشارع عليه عدد من الناس يغتسلون، وهم في مظهر جيد من حيث الصحة ويسار الحال.

ويشاركهم استعمال هذا الصنبور أولئك الذين على الرصيف يغسلون منه آنيتهم وثيابهم.

## محاولة السفر إلى (آسام):

ذهبت مع الشيخ (عين الباري) إلى مكتبه الواقع في مسجد أهل الحديث، وهو مليء بالأوراق بالعربية والأوردية والبنغالية، ولا بأس به لولا صغر مساحته، وفيه هاتف هتفنا منه بشركة الطيران الهندية نسأل عن الحجز إلى (آسام)، وكانوا طلبوا أمس أن نراجعهم اليوم.

وهذا المكتب يستعمله الشيخ لشؤون جمعية أهل الحديث في البنغال التي يتولى إدارة شؤونها، وهو ذو أثاث خشبي قديم.

ولم ينفع الاتصال الهاتفي بالشركة، فأسرعنا إلى الذهاب إليها لمراجعتها مشافهة، وذلك من مكتب لها موجود في الطابق الأول من

البناء الذي فيه فندقنا.

وسألني موظف شركة إنديان أيرلاين: هل حصلت على إذن من دلهي بزيارة (آسام)؟

فقلت له: لم أظن أن الأمر يحتاج إلى ذلك.

فقال شخص: أي شخص أجنبي إذا لم يحصل على ذلك الإذن من دلهي لم يسمحوا له بمغادرة المطار، وإنما يعيدونه على نفقته إلى دلهي بعد التساؤل عن سبب حضوره، وذكر أن في الهند ثلاث ولايات تحتاج من الأجانب إلى إذن لزيارتها، وهي (آسام)، و(البنجاب)، و(هماجل).

وحتى لو لم يحدث هذا، ودخلت (آسام)، فإنك لن تستطيع الخروج منها إلا بعد أسبوع، لأن السيول والفيضانات قد قطعت الطرق وخربت الجسور، ولذلك لا توجد قطارات ولا سيارات تسافر من (آسام) إلى دلهي حيث تريد الرجوع بعد (آسام)، والوسيلة الوحيدة لذلك الآن هي الطيارات، ولا توجد إلا رحلة واحدة يومية بطائرة بوينغ ٧٣٧، وهي محجوزة لمدة أسبوع من الآن.

وكنت ذكرت له أنني قد حجزت للسفر من دلهي إلى الرياض يوم الأحد القادم، فقلت له: إنني مضطر للسفر إلى الرياض من دلهي يوم الأحد، فقال: إذاً لن تستطيع أن تدرك هذا السفر.

قال: وحتى السفر من (كلكتا) إلى (آسام) الذي طلبته اليوم هو غير مؤكد؛ لأن مقاعد الطائرة كلها محجوزة، وأراها رفيقي الشيخ (عين الباري) قال: وقد وضعناك في لائحة الانتظار، ومن

المحتمل أن تسافر، لكن من الصعب عليك أن تعود إلى دلهي.

فقلت له: مادام الأمر كذلك، فإنني أرجو أن تحجزوا لي مقعداً إلى دلهي غداً، فأراني قوائم الحجز إلى دلهي وأن الطائرة محجوزة لمدة ٣ أيام، وقال: الوسيلة الوحيدة التي أنصحك بها أن تسارع الآن إلى مكتب الشركة الأخرى، وهي شركة (أير إنديا)، فلديها رحلة لطائرة كبيرة من طراز إيرباص قادمة إلى (كلكتا) من الخارج، وتسافر قبل منتصف الليل هذه الليلة، ففيها مقاعد، ثم كلم موظفاً في الشركة، وقال: لا بد من الذهاب إلى مكتب الشركة لتأكيد الحجز.

وهكذا لم أستطع السفر إلى ولاية (آسام) التي كنت مقدراً أن تكون هي الولاية الثالثة من ولايات شرق الهند التي أزورها، وأتحدث عن زيارتها في هذا الكتاب، واقتصرت في هذه الرحلة على زيارة ولايتين شرقيتين هما (أوريسا) و (غرب البنغال) راجياً أن تتيسر لي بعد ذلك زيارة (آسام). والله المستعان.

وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة والربع ظهراً، ولا بد من الخروج من الغرفة عند الثانية عشرة، وإلا حسبوا عليك ليلة إضافية.

وكانت معاملتهم جيدة، وطلبوا مني عن ليلتين في الفندق ١٠٨٠ روبية، وقد خفضوا الأجرة ٢٠٪ من أجل جوازي (الدبلوماسي).

## في مكتب أير إنديا:

حملت أمتعتي مع سائق أجرة، ومررنا بمكتب (أير إنديا)، وهي الشركة الهندية الدولية المشهورة، فطلبوا منا الانتظار بعض الوقت

حتى يأتي أمين الصندوق لأنني سأشتري تذكرة جديدة.

وبعد طول انتظار جاء الموظف وقالوا: حظك حسن، فهذه الرحلة أسبوعية أي تسافر من (كلكتا) إلى دلهي مرة واحدة في الأسبوع، فيها مقعد خالٍ الليلة وحجزوا لي حجزاً مؤكداً.

**مشكلة الغداء:**

كنت آكل في مطعم الفندق لكونه أقرب إلى النظافة من غيره، وإن كنت أتضايق من سعال العمال الذين يحملون الطعام وعطاسهم في بعض الأحيان، وكونهم قد يمسكون من الشوكة والملعقة بالطرف الذي يضعه الآكل في فمه.



مسجد في قلب كلكتا

وقد ذهبنا من مكتب الشركة إلى حانوت صديق الشيخ (عين الباري)، وهو تاجر في سوق من أسواق (كلكتا) المزدحمة، وذلك من أجل البحث عن عود من عود البخور إذا وجدنا من يميز بين الجيد والرديء، وكان سعره معتدلاً.

وتكرر الخوض في الزحام، وعجبت من صبر سائقيهم على هذا الزحام، ومن مهارتهم في تفادي الاصطدام بالمشاة والعربات والسيارات، وحتى صبرهم على الدخان الحار الذي تنفثه السيارات الكبيرة كالحافلات وسيارات الشحن.

وفي الأسواق التجارية كثرت عربات الركشا والعربات التي يسحبها الرجل براكبيها مما أسهم في شدة الازدحام في السوق.

وصلنا إلى حانوت الأخ المسلم، وهو تاجر ذو حانوت كبير نظيف كسائر الحوانيت في هذا السوق ما كان منها للمسلمين وما كان للهنادكة فهي حوانيت كبيرة نظيفة مليئة بالسلع، وأهلها يعتبرون من الأثرياء.

وكان في متجر الأخ عدد من المرواح الكهربائية أراحتنا من معاناة الرطوبة الثقيلة، واسترحت أيضاً من أمتعتي حيث أودعتها متجره الآمن.

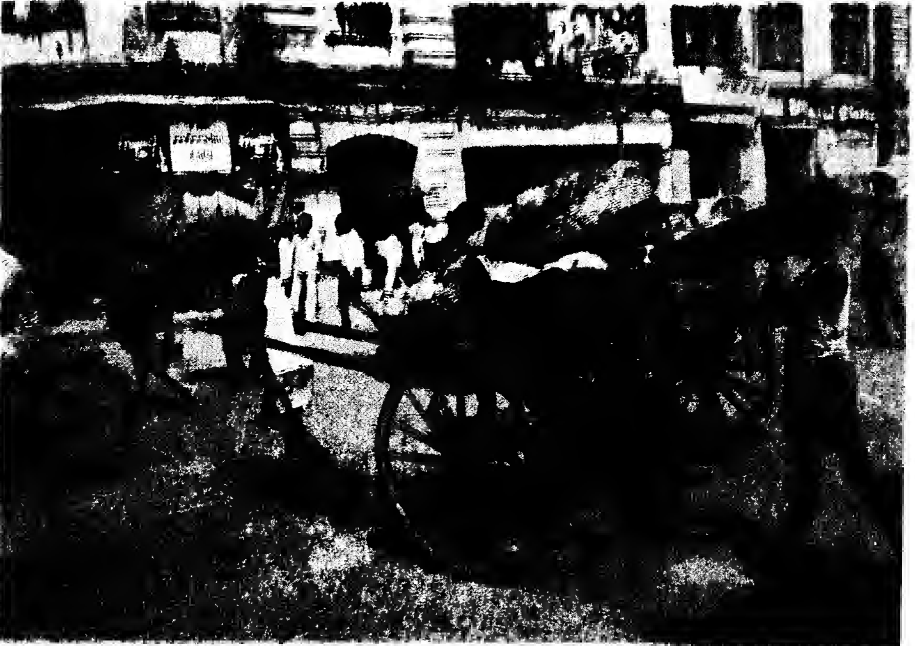
وسألته وهو الأخ المسلم عن تجارته، فذكر أنها رائجة، وأنه لا يشكو في هذا الأمر من شيء.

فقلت: أتحس أنك وغيرك من إخوتك المسلمين أصحاب المتاجر موضع تمييز في التعامل: بمعنى أن الهنادكة الذين يخالفونكم في

الدين، ولهم الأكثرية في البلاد يفضلون الشراء من التجار الذين على دينهم دونكم أنتم؟.

فتفى ذلك بشدة وقال: هذا غير موجود، وإنما الموضوع موضوع تجارة، فمن أعجبته البضاعة اشتراها بالثمن المناسب له؛ سواء أكان صاحب الحانوت مسلماً أم هندوكياً.

**البحث عن مطعم:**



عربات الحمل التي يسحبها الرجال في كلكتا

سألتهم عن مطعم نظيف للمسلمين، وشددت على موضوع النظافة، ولو كان المطعم غالياً، فقالوا: إنه (صابر هوتيل)، وهوتيل

هنا تعني المطعم، وكذلك هي في باكستان، فالمطعم يسمونه هوتيل.

ذهبت إليه مع الأخ الشيخ (عين الباري) سيراً على الأقدام، فهو مثلي لم يتغد، ولم يكن المطعم بعيداً يحتاج إلى سيارة أجرة، وإنما السبيل للذهاب المريح إليه هو ركوب عربة يجرها رجل، ولكنني لا أريد أن أرى رجلاً يتعذب وهو يجر العربة التي أركبها من أجل الأجرة.

وكان الزحام بالغاً من الناس في الطريق إلى المطعم؛ لأنه مثل حانوت صاحبنا واقع في منطقة من مناطق الأسواق التجارية المتصلة المتشابكة.

وصلنا المطعم، ومنيت نفسي بالراحة فيه على غداء نظيف، وهو مطعم يملكه أخ مسلم اسمه (محمد صابر)؛ غير أنني فوجئت أن موائده كلها مشغولة، ورأيت جماعة من ثلاثة رجال وامرأتين من الهنادكة واقفين كالمنتظرين خلو مائدة من الموائد، فوقفت خلفهم رغم معارضة الشيخ (عين الباري) الذي طلب مني أن ندخل إلى قاعة الأكل لنبحث عن مائدة عليها شخص أو شخصان، وتتسع لجلوسنا مع من يكونون عليها.

وكنت قد تعودت في المطاعم الأوروبية والأمريكية والبلاد المنظمة أن من لا يجد مائدة ينتظر، فيكون أحق ممن يأتي بعده بالمائدة التي تفرغ، فرحت أقول لعامل مر مسرعاً وهو يقدم الطعام، نحن هنا بعد هؤلاء القوم الواقفين، ولكن القوم الواقفين كانوا ينتظرون أصحاباً لهم كانوا واقفين خلال الموائد ينتظرون فراغ مائدة

فيجلسون عليها وينادونهم.

وجاء أناس بعدنا فعرفت أن المسألة ليس فيها نظام، وإنما على من يريد أن يحصل على مقعد على إحدى الموائد أن يذهب إلى الموائد، ويتطلع في صحون الناس، فمن رآه يسرع في الأكل، أو رآه قارب أن ينتهي من طعام وقف فوق رأسه منتظراً أن يفرغ فيقوم من المائدة ويجلس هذا المنتظر عليها، ولهم عادة متعارف عليها أن ذلك الشخص الذي يقوم على رأس الآكل ينتظر فراغه من الأكل هو أولى بالجلوس من غيره على تلك المائدة.

وهكذا فعلنا مثلهم، وجعلت أنا والشيخ (عين الباري) نتخلل صفوف الموائد، وننظر في صحون الآكلين وأيديهم تدفع الطعام، وتكون إحدى اليدين في بعض الأحيان تمسح ما يسيل من الأنف بسبب وجود الفلفل الكثير في الطعام.

والنظر إلى الآكلين هؤلاء غير مريح لمثلي؛ لأنهم إذا جاؤوا بالطعام وعماده الأرز صاروا يهرسونه بأصابعهم، ويخلطونه بالمرق إذا كان معه مرق، ومرقهم هو الكاري الذي هو غليظ كثيف، كأنما هم بذلك يسهلون للأسنان مضغه، ثم يتناولون الطعام بأيديهم، وهي عادة منتشرة في جميع أنحاء الهند؛ يستوي فيها المتعلمون وغيرهم، والمثقفون وغير المثقفين، حتى الذين كانوا عاشوا في البلدان الغربية لا يتركون الأكل باليد.

وصار الناس يأتون بكثرة مع أن الساعة جاوزت الثانية، فيقفون بين الموائد، وقد يئست من وجود مائدة تخلو لوقت قريب، وتعبت من

الوقوف ومراقبة الآكلين الذين لا يبدو أنهم ينزعجون من تركيز الأنظار عليهم أثناء الأكل.



شارع في قلب كلكتا القديمة

فذهبت إلى رجل في المطعم هو الذي يتسلم النقود أرجوه أن يجد لنا مائدة، فلم يصنع شيئاً، وإنما أشار إلى الموائد المشغولة كالذي يقول: انظروا واعذروا.

**مطعم الرامشية:**

تركنا هذا المطعم إذ لم نستطيع حتى أن نأمل في وجود مائدة تخلو بسرعة؛ لأن فوق كل مائدة منتظرين، وذهبنا إلى مطعم اسمه

(الرامشية هوتيل) أي مطعم الرامشية، ولا أدري معنى الرامشية، إلا أن أصحابه مسلمون.

فوجدنا الزحام فيه أكثر من الزحام في المطعم الأول؛ لأنه فيما يظهر أرخص منه، وإن كان يعتبر من المطاعم الجيدة عندهم.

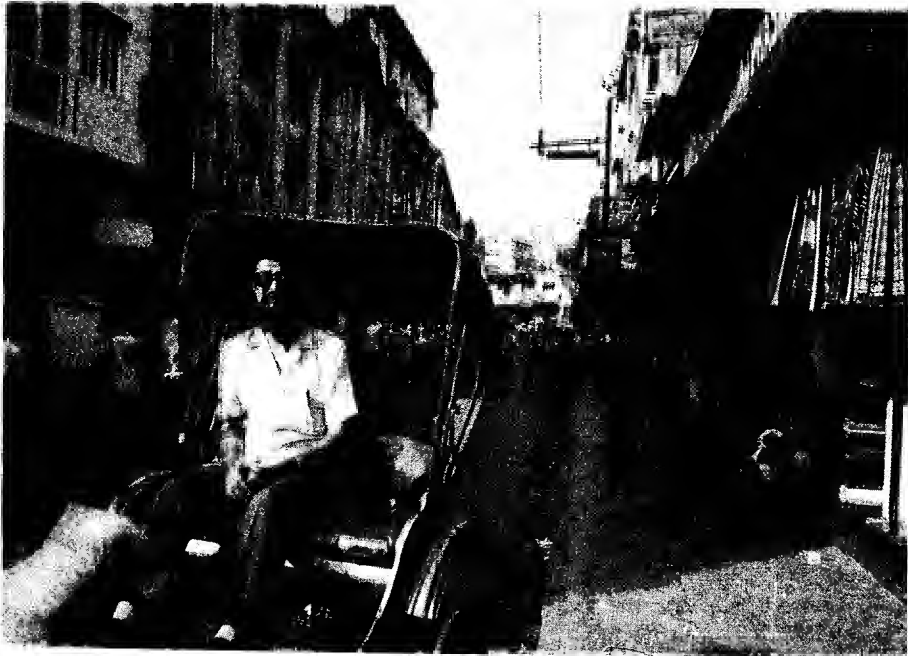
ولاحظت أن أكثر الزحام هو من الهنادك الذين يميزهم المرء تمييزاً ظاهراً من لباس نسائهم الذي يخالف لباس المسلمات، وأما الرجال، فإن ملابس العامة منهم ومن المسلمين تكاد تكون واحدة ما عدا التجار والأثرياء وطلبة العلم المسلمين، فإن لهم لباساً خاصاً يمتاز بالنظافة والسعة، فقالوا لنا: إن الهنادكة هم كثرة الآكلين في مطاعم المسلمين، وهم يقبلون عليها، لأن المطاعم الهندوكية لا تقدم اللحم، ولا تصنع أنواع الطعام الذي يصنعه المسلمون، وأطعمة المسلمين بالنسبة إليهم تعتبر شهية ورخيصة.

ورأيت الهنادكة يأكلون اللحم كما يأكله المسلمون، ولكن لحم الغنم، لا لحم البقر، ولم أرهم يسألون عن نوع اللحم الذي يقدم إليهم، وإنما الغالب أن لحم البقر لا يقدم في مطاعم المسلمين حتى للمسلمين أنفسهم.

وتفرقنا بين الموائد في قاعة واسعة غاصة بالآكلين، وبدوي الأصوات المزعجة، وداخلني شك في نظافة الأواني لأنه من الصعب تنظيف الأواني لهذا العدد الضخم من الرواد تنظيفاً كاملاً، فأحضرت ليموناً من الصغير (البنزهير) لكي أعصره على الطعام دون أن أشرب في المطعم كما يشربون.

وخلا مقعد واحد في مائدة عليها أربعة ولكن نحن اثنان فآثرني به الشيخ (عين الباري)، وانتظر فترة حتى خلا كرسي آخر في مائدة بعيدة، فجلس عليه وصار ينظر إلي من بعيد.

وجاء الطعام بعد مضي بعض الوقت سبب انشغال العمال بخدمة الآكلين الكثر، وهو صحن من الأرز البرياني معه صحن آخر فيه شيء من الكاري واللحم، فأسرعنا نأكله اغتناماً للوقت، ودفعت قيمة الطعام للاثنين ٣٢ روبية، ويساوي ذلك ثمانية ريالات ونصفاً، وهذا رخص بالغ.



المؤلف راكب على دراجة يجرها صاحبها في كلكتا

**إلى حديقة الحيوان:**

خرجنا من المطعم في الثالثة والنصف، فركبنا سيارة أجرة إلى حديقة الحيوان، وهي مشهورة بسعتها، وكثرة ما فيها من الحيوان.

فمررنا بأماكن خضر جميلة منسقة، في جهة من جهاتها ميدان سباق الخيل، فقلت: أين هو من وسط المدينة المزدحم الملوث الهواء.

ثم رأينا المكتبة القومية بالقرب من حديقة الحيوان، وهي من أكبر المكتبات المشهورة في الهند، بما تحتويه من كتب ومراجع ثمينة منها ما لا يوجد في غيرها.

وعند باب الحديقة كانت هناك جموع غفيرة من الناس، ووقفنا في صف طويل أمام بائع تذاكر الدخول لكثرة الذين يريدون الدخول مثلما رأيناه أمس من كثرة الداخلين إلى المتحف الهندي.

كان أول الحيوان العجيب الذي رأيناه هو (الياك)، وهو حيوان يشبه البقر، وله ذيل كذيل الفرس، ويتخذ لما تتخذ له البقرة، أي للبن واللحم، وذكروا هنا أن هذا الحيوان المعروض أحضروه من قرب كشمير.

ومعروف أن كشمير واقعة في جبال قريبة من جبال الهملايا، وهي من أشد بلاد الله برداً.

ويمكنك أيها القارئ الكريم إذا رغبت في معرفة شيء من حاضر كشمير ان تقرأ كتابي عن كشمير وعنوانه: ((سياحة في كشمير)) وهو مطبوع.

ثم وقفنا عند ثعلب كبير أكبر من المعروف عندنا ولونه أحمر يميل إلى الصفرة ذكروا أنه ثعلب آسيوي، وآسيا قارة واسعة كان ينبغي أن يوضحوا مكان وجوده منها.

وهناك نعام متميز بكبر حجمه، وغير بعيد منه الكنغرو حيوان أستراليا المعروف الذي لم يكن يوجد في غيرها، وذكرت في ذهني حديقة الحيوان في (سيدني) كبرى المدن الأسترالية، وقد عرضوا فيها أنواعاً منوعةمن هذا الحيوان الكنغرو فخيل الي أنها نظيفة، وأن هذا الموجود هنا قد اتسخ عندما أقام في هذه الحديقة، ولا أدري أذلك من وحي الخيال أم أن له نصيباً من الحقيقة من كون الحديقة لا تعتني بغسل هذا الحيوان وتنظيفه إن كان يحتاج إلى غسل وتنظيف إذا حبس في مكان واحد لا يبرحه.

ثم النيص العربي الذي نعرفه في بلادنا، والنيص هي تسميته العربية الفصيحة، ولكنه غير معروف بها في بعض البلدان العربية، وهو حيوان يعلو جسمه شوك مخطط مدبب كنا نستعمله أقلاماً للكتابة إذا فزع النيص رمى به من يطارده من باب الدفاع عن النفس، وله اسم مشهور به في كتاب الحيوان بالعربية هو الشيهم، وكان بعض الشيوخ من بني قومنا يسمونه شيخ القنافذ؛ لأنه - بالفعل - من فصيلة القنافذ، ولكنه يتميز بكبر حجمه، وبأنه يرمي شوكه إذا فزع بخلاف القنفذ الذي يتقوقع داخل شوكه إذا افزع، ولا يرمي به.

**وحيوان معتاد:**

من الغريب أنهم عرضوا في هذه الحديقة بقرة معتادة مما يراه المرء

في الهند أينما توجه، ولا أرى سبب عرضها هنا مع أنه لا طرافة فيها، وبقربها ثور كبير.

وهناك قطيع من الظباء كثير العدد عرضوه، وهو كذلك، وهي ظباء حمر تميل إلى الصفرة تشبه الظباء العربية لولا أنها منقطة ببياض وكتبوا عليها أنها من آسيا.



**ظباء في حديقة حيوان كلكتا**

وهناك حيوانات وحشية حبسوها هنا للفرجة، مثل طائفة من بقر الوحش رمادية اللون، وأخرى حمر، وبقر الوحش هو العين - بكسر العين - وصورت بعضها وهو يرعى متخيلاً بقر الوحش عندما كان

يرعى في صحرائنا العربية قبل انقراضه.

وطائر مائي كبير يطعم فرخه.

وعلى ذكر الطيور أقول: إن أكثر الطيور وجوداً هنا هو الغراب، فالغربان تتطاير وتنعب وكأنها تشكو وتولول.

وكثرة الغراب في جميع أنحاء الهند أمر معروف حتى في وسط المدن الرئيسية مثل مدينة بومبي.

**دار الحيات:**

وصلنا إلى بناء مستدير فوقه قبة خصص كله للحيات والأفاعي، وقد وضعوها في رفوف في الحيطان مغلقة بزجاج ترى منه الحيات، ولا تصل إليها أيدي الناس.

وبعض الحيات وضعوا عليها شباكاً من الحديد لخطورتها، وقد كتبوا على كل واحدة اسم المكان الذي جلبت منه، وكيفية إفراغ سمها.

كما عرضوا أنواعا غير سامة من الحيات ونوهوا بذلك.

**وبحيرة التمساح:**

خصصوا للتمساح مكاناً منعوا الدخول إليه إلا برسم خاص، وهو روبية واحدة لمشاهدته، وبعض حيوان الماء، والروبية تساوي ربع ريال سعودي.

## الفيل والفيَّال:

من الأشياء التي تستحق النظر مجموعة من الأفيال الهندية، منها اثنان جلس بين قوائمها سائسها، وهو هندي ضئيل الجسم نحيل، فمن أعطاه نقداً صغيراً أمر الفيلين فأديا له التحية برفع الخرطوم، وهذا أمر موجود في بعض حدائق الحيوان، ولكن الخطر هو في وجود الفيَّال، وهو سائس الفيل بين أقدامها على ضعف جسمه: بحيث إن أدنى وطء عليه من قدم من أقدام الفيلة سوف يقتله، ولكن يفعل ذلك من أجل استدرار عطف الجمهور لكي يمنحه شيئاً ولو ضئيلاً من النقود.



**الفيال جالس تحت قوائم الفيلة في حديقة الحيوان في كلكتا**

ومن الأشياء الجيدة هنا أنهم أقاموا من الحديقة قسماً محجوزاً

بشباك من الحديد لا يستطيع أحد من المتفرجين الدخول فيه؛ ذكروا أنهم خصصوه بمثابة الملجأ للطيور المهاجرة التي تمر بالمنطقة، فلا تنفر هنا حتى تهاجر أو يطيب لها المقام فتتخلف عن الهجرة، وفي أثناء ذلك يتفرج الناس برؤيته، وهو طليق وفيه بحيرة لطيور الماء.

وهذا أمر ينبغي أن تحتذيه حدائق الحيوان الأخرى.

وواصلنا التجول في الحديقة وسط جماعات من الناس من أهل الهند جاؤوا للتفرج برؤيتها، ومن الأشياء الطريفة فيها منظر زوج من الدب الأسود يطعمها السائس لبناً وخبزاً مخلوطاً وهي تلعقه بألسنتها.

وفرس النهر المسمى عند العامة (سيد قشطة) في بركة ماء بالغة القذارة، ويقال: إنه يفضل المياه القذرة على المياه النقية، فتراه يسبح ويمرح في المياه المشبعة بالوحل.

## الاستراحة في المسجد:

فرغنا من حديقة الحيوان هذه قبيل الغروب فقصدنا مسجداً آخر لأهل الحديث اسمه، (مسجد أهل الحديث نور علي لين)، وهو غير مسجد أهل الحديث الرئيسي الذي زرته في أول وصولي إلى (كلكتا)، وفيه مكتب الشيخ (عين الباري)، فذاك بعيد عنه.

ومعنى اسم هذا المسجد: مسجد زقاق نور علي، أي الزقاق الذي عليه المسجد أسمه (زقاق نور علي)، وهو في حي اسمه (تاتين باغ)، وباغ: بستان بالأوردية أخذتها من الفارسية.

وكان وقت المغرب قد أذن، فصليت معهم ولم يكن على رأسي

شيء، فتبرع أحدهم وأنا أصلي بأن وضع على رأسي قلنسوة من القش (طاقية) متسخة من كثرة الاستعمال كانت بين قلانس عدة موضوعة في المسجد يضعها على رأسه من يحضر للمسجد حاسر الرأس من سائر الناس، أما طلبة العلم فإنهم لا بد أن يكون على رأس الواحد منهم عمامة أو طاقية، ولا يليق بهم أن يراهم الناس حاسري الرؤوس.

وتغطية الرأس في الصلاة ليس شرطاً لا تصح الصلاة إلا به، ولكن إخواننا من أهل الهند قد اعتادوا عليه، وظنوا أن الصلاة لا تكمل إلا بأن يغطي المصلي رأسه.

والمسجد ذو قبة عالية ذكروا أنه يصلي فيه الجمعة ثمانمائة شخص، وقد رأيت المصلين في مغرب هذا اليوم ثلاثة صفوف.

**جلسة علمية:**

بعد صلاة المغرب انعقدت جلسة علمية في مكان ملحق بالمسجد ذكروا أنه أعد للضيوف مثلي، فيه سرير، وفيه مروحة تبدد الرطوبة، وقد حضر إليَّ في هذا المكان عدد من المشايخ وطلبة العلم، على رأسهم الشيخ (أبو محفوظ الكريم المعصومي) أستاذ الحديث والتفسير في الكلية العالية، وكنت اجتمعت معه في الكلية وأعجبت بروحه العلمية، واطلاعه الواسع، وهذه أول مرة ألقاه فيها، وإن كنت أعرفه عن طريق الكتب والمجلات؛ لأنه يكتب في المجلات العلمية العميقة كمجلة المجمع العلمي العربي في دمشق.

وقد باحثته في هذه الجلسة، فوجدته بحراً في الأدب العربي، حجة

في الشعر العربي يحفظ منه مقادير لو حفظ بعضها أحد العلماء عندنا لفاخر به قومه، وله مصنفات في الأدب العربي، ومن ذلك أنه كتب عن (أبي علي الهجري)، وكانت كتابته عنه فاتحة الكتاب عن هذا العالم اللغوي العظيم الذي فقدت أكثر آثاره.

وقد أنشدني الشيخ (أبو محفوظ الكريم) مقاطع من قصيدته العربية التي رثى بها أستاذه العالم الهندي المشهور الشيخ (عبد العزيز الميمني الراجكوتي)، ولو لم يكن له إلا هذه القصيدة باللغة العربية لعد ذلك منه عجباً، كيف وله قصائد أخرى بالعربية تمتاز بجزالة لفظها، وبكونه نحا بها منحى الشعر العربي القديم.

وطلبوا شاياً من أحد بيوت المسلمين، فجاؤوا به نظيفا خفيفاً معه الليمون لأني أحب الليمون، كما جاؤوا بالحليب لمن أراد أن يمزجه بالحليب.

## مكتبة الشيخ عبد الله:

انتقلنا من استراحة المسجد إلى مكتبة مقابلة للمسجد ذكروا أن اسمها (مكتبة الشيخ عبد الله) على اسم الشيخ عبد الله الذي بنى هذا المسجد لأول مرة، وتوفي عام ١٩٢٠م، وقد هدم المسجد، وبنى بناء قوياً حديثاً بالإسمنت المسلح دفع أكثر تكاليف بنائه الشيخ (مختار أحمد الندوي) مما كان قد جمعه في إدارة له اسمها مديرية إصلاح المساجد.

ذكروا أن الشيخ (مختار) دفع لهم لهذا الغرض ثمانمائة ألف روبية، وأن أهل المحلة جمعوا فيما بينهم ٤٠٠ ألف روبية، وتم بناؤه هذا

قبل سنتين.

أما المكتبة، فإنها حافلة بالكتب والمخطوطات التي بعضها بالعربية، وبعضها بالفارسية، كما أنها عامرة بالمجلات والدوريات الحديثة، وقد وجدنا فيها عدداً من الإخوة المسلمين من سكان هذا الحي الذي تقطنه أكثرية مسلمة؛ بل قال الإخوة المرافقون: إن نسبة المسلمين فيه تبلغ ٩٠٪.

**عشاء مبارك:**

وبعد صلاة العشاء أحضروا العشاء من أحد بيوت المسلمين، أظنه أخاً للتاجر الذي وضعت أمتعتي في حانوته، وأحضرها إليَّ بعد المغرب في استراحة المسجد، وكان العشاء مؤلفاً من الأرز بالدجاج والعدس ومرق الدجاج والسلطة والخضروات.

وقد تعشيت ومعي الشيخ (أبو محفوظ الكريم)، والشيخ (عين الباري)، أما المضيف فكان واقفاً يخدمنا، وأما الباقون فإنهم أكلوا بعدنا، وقد أكلت منه وأكثرت؛ لأنني منذ أيام لم آكل طعاماً تطمئن نفسي إلى نظافته بعد أن تركت (سرنقر) عاصمة ولاية (جامو وكشمير)؛ حيث كنت أحضر مؤتمر أهل الحديث هناك.

وشعرت بأن البركة قد حلت في هذا الطعام: بحيث أكل منه عدد كبير من الناس وكفاهم، ولو كان مثله في بلادنا لما قدمه صاحبه لأكثر من ضيف واحد.

وقد أنست بهؤلاء الإخوة الكرام من علماء استفدت منهم، ومن

تجار ومحبين للحديث عن الإسلام، وطلبوا مني أن أفيدهم بأخبار إخوانهم من المسلمين في العالم عندما عرفوا أنني زرت أنحاء العالم للبحث في أمور المسلمين، والاطلاع على أحوالهم الحاضرة.

**دفاع عن (كلكتا):**

من الحديث الذي دار شيء يتعلق بهذه المدينة، فدافع عنها أهلها بأنها أتخمت بالمهاجرين، وإن هؤلاء الذين يراهم المرء في حالة زرية، أو يمضون أكثر أوقاتهم في الشوارع والأرصفة، إنما هم من الطارئين، وهم فوق طاقة المدينة.

أما النظافة فاعتذروا عن عدم كمالها بأن الحكومة المحلية فقيرة لا مال لها، وأن حكومة الهند المركزية لا تعطيها المال الذي تحتاجه.

فقلت لهم: ولكن هناك أشياء لا تحتاج إلى مال كثير، مثل ترك أكوام القمامة في الشوارع، ودخان السيارات الكبيرة الذي يعمي الأبصار، ويؤذي الصدور، بالإمكان تلافيه بإلزام أصحاب السيارات بأن يرفعوا الأنبوب الذي يخرج منه من الدخان إلى أعلى السيارة كما يفعل غيرهم من الناس، وبذلك يرتفع الدخان لأنه ساخن، والعادة أن الدخان الساخن يرتفع ولا يؤذي المارة والجالسين في الحوانيت والأرصفة.

وقلت في نفسي ما لم أقله لهم، وهو أن منع البصاق الأحمر في الشوارع لا يحتاج إلى أموال طائلة، وكذلك البول في الأرصفة وأصول الحيطان، وتغوط الأطفال في الأزقة، وإنما يحتاج إلى أن تعد الحكومة محلات للبول عامة، يكون منها ما هو بأجر لكي يبقى نظيفاً لا

يستعمله إلا الموسرون الذين لا يطيقون أن يقضوا حاجتهم في الأمكنة التي يستعملها الفقراء؛ لأنها تكون دون ما اعتادوا عليه من النظافة.

أما مضغ التنبول، ورمي بصاقه في الشارع، وارتداء الملابس المهلهلة، وسحب الرجال الذين يمشون على الأرض للعربات التي يركبها الناس، فإن ذلك يمكن أن توضع له خطة طويلة المدى يجري تطبيقها تدريجياً، وبعد توعية شاملة بها.

ورفعت صوتي بأفكاري، وقلت لهم: إن بلدة (كلكتا) حلت مشكلة مرورية كبيرة، لم تحل في مدن هندية أخرى يقل عدد سكانها عن سكان (كلكتا) كثيراً، ولا تعاني من ازدحام الناس فيها ما تعانيه (كلكتا) ألا وهي إبعاد الأبقار عن الشوارع والطرقات، وليس ذلك بمجرد الأمر بإبعادها، أو بالقسوة عليها بالضرب أو نحوه لتنحيتها عن الطرق، فذلك أمر يصعب تنفيذه لما للبقرة في الديانة الهندوكية التي يدين اكثر سكان الولاية بها من مكانة، بل من منزلة قد تصل إلى حد التقديس، وإنما فعلت ذلك عن طريق إباحة ذبحها ذبحاً كريماً للحيوان لمن شاء، فذلك حدث بالفعل، وحد من تكدسها في الطرق، وفي الوقت نفسه أتى بأرباح كبيرة لمن يربي البقر من الهنادكة، وبطعام جيد محبوب لمن يأكلون لحم البقر، وهم المسلمون والمسيحيون على قلة المسيحيين في هذه الولاية.

على أن الذي عرفته من حال الهنادكة في هذه الولاية أن أكل اللحم فيهم فاش أكثر من الولايات الأخرى، ولكنهم يأكلون الدجاج ولحم الغنم وليس لحم البقر، ويترددون على مطاعم المسلمين لذلك

السبب كما سبق.

كما أنه يمكن للحكومة أن تضع قيوداً على السكنى في (كلكتا) لغير أهلها الأصلاء، وذلك بوضع قيود على تأجير البيوت لمن لا يثبت أنه كان من سكان (كلكتا) منذ خمس سنين مثلاً، إلا لسبب مقبول.

إلى جانب تشجيع الانتقال من الأحياء المزدحمة في المدينة إلى ضواح خارجة عن المدينة تختارها الحكومة، وتتحمل إيصال المرافق الهامة إليها كالماء والكهرباء، وتشجع الناس على البناء فيها، وإن استطاعت أن تبني فيها مساكن شعبية رخيصة تبيعها بالتقسيط فهو أفضل.

ولهم في مدينة (موسكو) عاصمة الاتحاد السوفيتي أسوة في منع النزوح إليها من الريف أو المدن الأخرى، وإنما كان الأمر مختلفاً هناك لكون الذي يبني البيوت ويؤجرها على الناس هي الحكومة؛ لأن الناس لا يستطيعون حتى بناء مساكن لهم في المدن السوفيتية، واستطاعت الحكومة بذلك ألا تؤجر البيوت إلا على أناس من أهل مدينة موسكو، أو من نقلوا للعمل فيها حسب أمر الحكومة، وأما من كانوا خلاف ذلك فلا تؤجر لهم البيوت.

وفرق آخر، وهو أن الجو في موسكو في معظم السنة لا يمكن أحداً أن يعيش فيه خارج بيت لا يتوفر فيه الدفء لبرودته.

أما في (كلكتا) فإن بعض الناس يكفيه جلده عن اللباس، ورصيف الشارع عن الفراش، كما قيل:

من الناس من يرضى بميسور عيشه ومركوبه رجلاه والثوب جلده

**مغادرة (كلكتا):**

أخذني هؤلاء الإخوة الكرام بسياراتهم، وأخذوا معي العلماء الذين أنست بهم، واستفدت من أحاديثهم، كالشيخ (أبي معصوم الكريم) الذي وجدته دائرة معارف واسعة، وبخاصة فيما يتعلق بالأدب العربي بعامة، وبالشعر العربي خاصة.

وغادرنا مدينة (كلكتا) إلى المطار في الساعة العاشرة، وصاروا يشرحون لي حال ما أمر به من الأماكن على خلاف ما كان عليه الحال عند قدومي إلى (كلكتا)؛ إذ كنت وحدي، وكنت خائفاً من مكروه يحدث من سائق سيارة الأجرة التي ركبتها.

ومن ذلك ما ذكروه عن شارع طويل سلكناه اسمه (قاضي نصر الدين أفنيو)، وهو شاعر مسلم وطني قدره أهل (كلكتا) من مسلمين وغير مسلمين، فأسموا على اسمه هذا الشارع الطويل.

لم يسمح ضابط كان على باب المطار أن يدخل الإخوة معي مبنى المطار للتوديع، فودعتهم شاكراً ومقدراً، وبخاصة للأخ الكريم الشيخ (عين الباري بن أحمد حسين بن عين الدين البنغالي العاليائي).

وقبل الوصول إلى مكان الترحيل كان التفتيش للأمتعة، فأدخلوا حقائبي في الفاحص الكهربائي الآلي، ثم طلب الضابط فتح حقيبتي الكبيرة، وفتشها كلها حتى وجد فيها نقوداً معدنية صغيرة من الهند، فأخذ يضحك ضحكاً متواصلاً، وهو يسألني عن هذه النقود، ولم أخذتها مع أنها ليس لها قيمة؟ ولم أجبه على سؤاله لأنه هذا ليس من مهمته، ولم يجاملني حتى أجامله.

ولم ألبث طويلاً عند مكتب الترحيل إلا أننا بقينا طويلاً امتد ساعتين في قاعة المغادرة، ثم نادوا علينا، وفتشوا الحقائب اليدوية بعد الفاحص الكهربائي، وطلب مني الموظف أن أجرب المصورة، (الكاميرا) أمامه فأصور بها، ثم أخذ يفتش جسمي ويمس رقبتي بيده مع أنني حاسر الرأس، وليس على رقبتي شيء يسترها، وأخذ يتحسس كتفي أيضاً، ثم خرجنا للطائرة ووجدتها أنظف كثيراً من طائرات شركة (أير انديان) الداخلية، ومقاعدها جيدة.

وقد قدموا عصير البرتقال في كأس من الورق.

وكان فيها مضيف سيخي من طائفة السيخ لم يتخل عن عمامته حتى في الطائرة على عادة السيخ في تمسكهم بشعارهم المميز من العمائم التي لفت بطريقة خاصة إلى توفير الشعر وعدم حلقه سواء ما كان منه في الرأس وفي اللحية، وحتى في سائر البدن، ومن لبس السوار في اليد.

وقامت الطائرة إلى دلهي في الواحدة إلا ثلثاً بعد منتصف الليل، فوصلت في الثانية وخمس وعشرين دقيقة، واستغرق طيرانها ساعتين إلا ربعاً.

واستغرق الأمر وقتاً طويلا قبل أن نستطيع الخروج من مطار دلهي، وذلك أن الرحلة في أصلها خارجية، فتأخر متاعنا فيها فترة، فمكثنا فيها فترة، ثم كان الموظفون يعترضوننا حتى نخبرهم أننا من (كلكتا)، فيطلبون الاطلاع على بطاقة دخول الطائرة.

وقبل الساعة الثالثة بقليل كنت أدفع أمامي عربة الأمتعة، وأطلب

من ضابط شرطة أن يدلني على فندق قريب من المطار أقضي فيه بقية سواد هذه الليلة مهما كان مستواه، وقد تجمهر علي عدد من سائقي التاكسي، ومن سماسرة الفنادق مما اضطر الضابط إلى أن يلاحقهم، وهو يحاول أن يصل إليهم فيضربهم بعصا لينة كانت بيده فيهربون منه كالأطفال.

وقد أركبني مع سائق سيارة أجرة، وسجل اسمي واسمه ورقم سيارته في دفتر عنده، وأعطاني صورة من ذلك، ثم عند بوابة المطار كان ضابطان يفتشان ويطلعان على ما كتبه ذلك الضابط، ويسألان الراكب عن الجهة التي يذهب إليها، كل ذلك من أجل الأمن للراكب.

وقضيت بقية الليلة في فندق من الدرجة الثانية قريب من المطار إسمه (أشوكا بالاس هوتيل)، وفي الصباح انتقلت إلى فندق جيد في دلهي الجديدة، وبعد يومين سافرت مع الخطوط السعودية من دلهي إلى الرياض.

# المحتويات